د. محمد عثمان الخشت

المرأة المثالية

فى أعين الرجال

- ماذا يُغرى الرَّجُل فى المرأة ؟
- كيف تسعد المرأة زوجها ؟
- أسلوب المرأة المثالية فى حل المشاكل الزوجية
- مقاييس جمال المرأة فى أعين الرِّجال
- كيف تدفع زوجها إلى النجاح
- المرأة المثالية كما يراها الرسول صلى الله عليه وسلم
- مفاتيح قلب الرجل
- ماذا تفعل المرأة عندما يهجرها زوجها ؟
- معايير جاذبية الأنثى
- فاعلية المرأة فى الحوار الجنسى



المرأة المثالية في أعين الرجال

- ماذا يُغري الرَّجل في المرأة ؟
- المرأة المثالية كما يراها الرسول ﷺ
- كيف تسعد المرأة زوجها ؟
- مفاتيح قلب الرجل
- أسلوب المرأة المثالية في حل المشاكل الزوجية
- ماذا تفعل المرأة عندما يهجرها زوجها ؟
- مقاييس جمال المرأة في أعين الرِّجال
- معايير جاذبيَّة الأنثى
- كيف تدفع زوجها إلى النجاح
- فاعليَّة المرأة في الحوار الجنسي

د. محمد عثمان الخشت

مكتبة ابن سينا



للطبع والنشر والتوزيع

٧٦ شارع محمد فريد - النزهة -
مصر الجديدة - القاهرة
☎ ٦٣٧٩٨٦٣ - ٦٣٨٩٣٧٢ ف: ٦٣٨٠٤٨٣

اسم الكتاب

المرأة المثالية فى أعين الرجال

اسم المؤلف

د. محمد عثمان الخشت

تصميم الغلاف

جلال عبادة

رقم الإيداع

١٩٨٨ / ٧٠٢٨

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية
مكتبة الساعى للنشر والتوزيع
ص. ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٢٣ - هاتف: ٤٢٥٣٧٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦ فاكس: ٤٢٥٥٩٤٥
جدة - تليفون وفاكس: ٦٢٩٤٣٦٧

طبع بمطابع ابن سينا بالقاهرة ت: ٣٢٠٩٧٢٨ فاكس: ٦٣٨٠٤٨٣

Web site : www.ibnsina-eg.com E-mail : info@ibnsina-eg.com



مقدمة

سوف تظل المرأة المثالية ضالة الرجل في كل زمان ومكان .. يجدُّ في البحث عنها.. وينشد الطرق التي توصله إليها .. فهي التي تملك أن تجعله في وفاق مع نفسه ، ومع الحياة ، ومع الكون كله . إنها وطن الرجل الأم ، إليها يرجع دائمًا ، وبدونها يضيع : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ...﴾ [الروم: ٢١] .

ونحن إذ نعيش عصرًا حلت فيه سيكولوجية مضطربة متوترة محل السكينة والتوازن الداخلي ، وتخلت فيه جميع ألوان الأصالة والجوهر عن مكانها إلى جميع المظاهر السطحية – فإن ظمأ الرجل الكياني إلى المرأة الأصيلة ظمأ واسع الأرجاء أكثر من أي وقت مضى .

إن الرجل في عصرنا هذا أشد ما يكون تطلعًا وحاجة إلى امرأة تلهمه وتعيد صياغته النفسية من جديد !.

ولكن مَنْ هي تلك المرأة التي يمكنها أن تمنحه : حبًا وحنانًا وعبقرية ونجاحًا وتواؤمًا مع الكون والحياة ؟!

إنها المرأة المثالية .

تلك المرأة هي المقصودة من هذا الكتاب ، الذي أردنا أن يكون الحديث فيه عن المرأة بدءًا من الرجل ، أي من وجهة نظره :

– كيف يراها ؟.

– ماذا يغريه فيها ؟.

– ماذا ينفره منها ؟.

– ما هي معايير جاذبيتها ومقاييس جمالها الروحي والجسدي ؟.

ولا حاجة بنا أن نذهب أكثر من ذلك في تقديم محتويات الكتاب، فإن أي وصف نقدمه سيكون بالضرورة تكرارًا لما اطلع عليه القارئ، أو بإمكانه أن يطلع عليه، في فهرست الكتاب. وما نريد أن نؤكد عليه هنا: هو أننا عندما نتكلم عن المرأة نفترض أن الرجل الذي تعيش معه جيد التوازن يتمتع بعقلية ونفسية منسجمتين. ولذا فنحن لسنا مضطرين في كل مرة أن نحلل سلوكيات الرجل واتجاهاته إلا من حيث هي صدى لما يصدر عن زوجته من أفعال وردود أفعال.

هذا، وإذا وجد القارئ - أو القارئة - نوعًا من التحليل النفسي للمرأة، فهذا بهدف الكشف عن الأصيل والطارئ من صفاتها، والممتاز والرديء من أفعالها؛ حتى يمكنها الحفاظ على الجميل وتطويره، والقضاء على الرديء واقتلاعه. فالتحليل النفسي من أجل الفهم، والفهم أول خطوات التغيير.

وقد كان ديدني أن أذكر الصفة ونقيضها، فهذا الكتاب ليس عن المرأة المثالية فقط، وإنما عن المرأة «الكارثة» أيضًا؛ حتى تتضح الرؤية ويظهر الفرق.

وأخيرًا: نؤكد على أن وجهة نظر الرجال، التي نعرضها هنا، إنما تجري على الأعم الأغلب في جميع الأحوال، ولا شأن لها بالاستثناء الذي يأتي بين حين وحين، والذي لا بد منه في كل تعميم.

وإذا ما أحست القارئة بأن اطلاعها على هذا الكتاب قد أغراها بالعمل على تطوير شخصيتها وأسلوبها، فسوف يكون الهدف الرئيسي من هذا الكتاب قد تحقق.

د. محمد عثمان الخشت

المرأة المثالية كما يراها الرسول ﷺ

يلاحظ بصفة عامة أن الإنسان كلما زادت درجة تطوره الفكرى والحضارى ، فإنه لا ينظر للمرأة من بُعدٍ واحد فقط ، كأن ينظر إليها من جهة جمالها فقط ، أو من جهة عقليتها فقط.. وهكذا.. وإنما ينظر إليها نظرة تكاملية من مختلف زوايا التقييم : العقل، الجمال، الأخلاق، الروح الدينية ...

وتظهر تلك النظرة التكاملية بوضوح في أحاديث الرسول ﷺ، فعندما سُئل : أيُّ النساء خير؟ قال: « التي تسره إذا نظر.. وتطيعه إذا أمر.. ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره » . [رواه أبو داود والنسائى بإسناد حسن] .

وعن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة : ٣٤] الآية .. انطلق عمر ، واتبعه ثوبان ، فأتى النبي ﷺ فقال: يانبي الله، إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية !.

فقال النبي ﷺ : « **ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء : المرأة الصالحة : التي إذا نظر إليها سرته.. وإذا أمرها أطاعته.. وإذا غاب عنها حفظته** » .

وفي رواية: « خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت ، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك ». [رواه الطبراني عن عبد الله بن سلام بإسناد صحيح] . ففي هذا الحديث برواياته المتعددة ، يقدم الرسول ﷺ وجهة نظر متكاملة إلى المرأة لا ترجح جانبًا على جانب؛ فكل جانب له أهميته وله وزنه .

فقوله : « التي تسره إذا نظر » كناية عن الجمال وحُسن المظهر ، فلا شك أن هذه أشياء مستحبة مستلزمة، لأن الطبع الإنساني مفطور على عشق الجمال ، لا سيما وأن توافر الجمال وحُسن المظهر في المرأة مما يعصم الرجل ويحصنه.

وأما قوله : « **وتطيعه إذا أمر** » فهو كناية عن موافقة المرأة للرجل وتوافقها معه، ولا أظن أن أحدًا ينكر أن ملاءمة طبع المرأة وانسجامه وموازاته لطبع زوجها يُعد أحد المحاور الرئيسية في المرأة المثالية؛ لما يترتب على ذلك من سعادة في الحياة الزوجية .

ويقى قوله : « **ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره** » أو حسب الرواية الأخرى: « **وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك** » .. فهذا كناية عن حُسن تدينها، واستقامة أخلاقها.. وذلك هو الأصل في صفات المرأة المثالية ، وسنوليه اهتمامًا بالغًا في كتابنا هذا ، خاصة في

فصل « أخلاقيات المرأة المثالية » .

وقد يستشكل البعض أهمية عنصر الجمال ، على أساس أن الرسول ﷺ قال في حديث آخر: « **لا تنكح المرأة لجمالها، فلعل جمالها يرديها، ولا لمالها؛ فلعل ما لها يطغيها، وانكح المرأة لدينها** » [رواه ابن ماجة] . فكيف يضع الرسول ﷺ الجمال كعنصر من عناصر المرأة الصالحة، ثم يستبعده في الحديث الثاني ، لا سيما وأنه قد قال أيضًا: « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك** » [رواه الشيخان].

والردّ على هذا الاستشكال : أن المقصود من الحث على الدين، وأن المرأة لا تنكح لجمالها، ليس النهي عن مراعاة الجمال وأخذه في الحسبان ، وإنما النهي عن الاختيار على أساس الجمال المحض وحده دون النظر لسائر الجوانب، لأن المرأة إن كانت جميلة وليست قويمة الأخلاق، فلا ينبغي الالتفات إليها؛ لأن بلاءها سيكون شديدًا، حيث سيشق على الرجل مفارقتها، وستنغص عليه معيشته، وتسوّد بين الناس وجهه، وتشوش الغيرة قلبه، وسيكون بين نارين: إن سلك سبيل الحمية والأنفة لم يزل في قلق وتوتر، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونًا ديوثًا؛ فلا يصبر عنها، ولا يصبر عليها، ويكون كالذي جاء إلى الرسول ﷺ، وقال : يا رسول الله، إن لي امرأة لا ترد يد لامس! قال : « **طلقها** » . فقال : إني أحبها. قال : « **أمسكها** »[1]. [رواه أبو داود والنسائي] .

فالجمال مع فساد الأخلاق وغياب سائر مقومات المرأة الصالحة، نقمة لا نعمة، ومن هنا فلا ينبغي أخذه في الاعتبار كعامل وحيد، وإنما يتحتم أن يُوضع في توازن مع سائر العناصر والمقومات.

فهو أحد الأسس التي ينبني عليها تقييم المرأة وليس كل شيء. ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الانسجام والمودة يحصلان به غالبًا ، وقد حث الإسلام على مراعاة أسباب الانسجام والمودة ؛ يؤكد ذلك أن الشارع استحب النظر عند الاختيار ، فقال : « **إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة، فلينظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينهما** » .

وفي رواية من حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فأخبر النبي ﷺ : فقال له النبي ﷺ: « **انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** » . [رواه الترمذي وحسّنه ، والنسائي، وابن ماجة]. ومعنى « **يؤدم بينكما** » : أي يؤلف بينكما ، من وقوع الأدمة على الأدمة، وهي الجلدة الباطنة على البشرة (الجلدة الظاهرة) ، وإنما استخدام هذا التعبير للمبالغة في الائتلاف .

---

(١) يلاحظ أن الرسول ﷺ أمره بإمساكها خوفًا عليه ؛ لأنه إذا طلّقها وهو يحبها أتبعها نفسه، وفسد هو أيضًا معها ؛ فرأى الرسول ﷺ في دوام نكاحه رغم ضيق قلبه دفعًا للفساد عنه، فذلك أولى من أن يطلّقها ثم يفسد معها .

ويؤيد هذا الفهم للغاية المقصودة من النظر ما يقوله الأعمش :

« **كل تزويج يقع على غير نظر ، فآخره همّ وغمّ** » . ومعلوم أن النظر لا يعرف به الخلق أو الدين أو المال ، وإنما يعرف به الجمال من القبح .

وآخر ما نؤكد به أهمية الجمال كأساس من الأسس التي ترتكز عليها شخصية المرأة المثالية هو ما رواه أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الأهلين وصححه عن الرسول ﷺ أنه قال : « **إن أعظم النساء بركة : أصبحهن وجوهًا وأقلهن مهرًا** » .

ونعود عودًا على بدء فنؤكد أن الجمال المحض لا قيمة له إذا غاب الدين وغابت الأخلاق، وإنما يستمد الجمال قيمته بوصفه عنصرًا يتآزر مع عناصر أخرى لا تقل عنه أهمية كالدين ، والأخلاق، والعقل الناضج، والنفسية المتوازنة .

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن الرسول ﷺ قد أكد على صفات أخرى في المرأة المثالية غير الصفات السالفة ، نذكر من ذلك قوله ﷺ : « **عليكم بالولود الودود** » .

وفي رواية : « **تزوجوا الودود الولود** » . [رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح] .

ففي هذا الحديث يضيف صفتين جديدتين ، هما : القدرة على الإنجاب، والتودد الأنثوي البديع الذي تمارسه المرأة مع زوجها .

وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ لجابر وقد نكح ثيبًا : « **هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك** » [رواه الشيخان] .

فالبكارة ميزة في الأنثى من وجهة نظر الرسول ﷺ، لما يستتبعها من فاعلية أنثوية تتمثل في الملاعبة والمداعبة.. ولنا وقفة أخرى مع هذه النقطة في فصل « **المرأة المثالية والجنس** » ، وما نود الوقوف عنده هنا هو تحليل حكمة الرسول - ﷺ - التي تكمن وراء حثه على الزواج من البكر.. فالتحليل السريع لتلك الحكمة، يكشف النقاب عن ثلاث ميزات في الفتاة البكر، تتمثل كالآتي :

أولًا : أن الطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف؛ وهذا أدعى إلى كون البكر تحب زوجها وتألفه، مما يؤدي إلى الود والتودد الذي أشار إليه الرسول ﷺ في الحديث قبل السابق عندما قال : « **عليكم بالودود** » . هذا في حين أن المرأة الثيب التي اختبرت الرجال، ومارست الأحوال، ربما لا ترضى بعض الأوصاف في الزوج الثاني التي تخالف ما ألفته وتعودت عليه مع الزوج الأول؛ مما يؤثر تأثيرًا سلبيًا على درجة تعلقها وانسجامها مع الزوج الثاني .

ثانيًا : أن البكارة أكمل في مودته لها ، فإن الذوق الرفيع ينفر عن التي مسها أحد من

قبله، وذلك النفور يختلف من شخص إلى آخر بدرجات متفاوتة، وبعض الطباع ترفض ذلك بشدة، والبعض يتقبلها على مضض، وبعض ثالث له وجهة أخرى.

ثالثًا : أن احتمالات حنين الثيب إلى زوجها الأول غير معدومة، أما البكر فليس لها زوج قبل ذلك حتى تحن إليه، فهي إن كانت تحن فإن حنينها وحبها لزوجها الأول، وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول في أغلب الأحيان.. أو كما قال الشاعر :

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما القلب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدًا لأول منزل

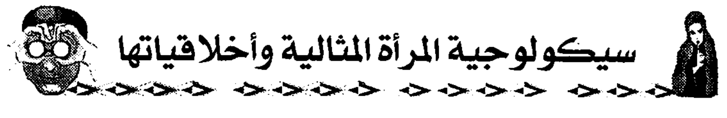
ومهما يكن من أمر ، فإن الرسول ﷺ يعتبر البكارة ميزة في المرأة ، وإن كان هو لم يتزوج بكرًا إلا عائشة.. وهذا يرجع لاعتبارات أخرى اجتماعية وسياسية ودينية تتعلق بأمر الدعوة وبناء الأمة؛ ولا مجال هنا لاستعراضها وتفصيل القول فيها .

ومن الصفات التي عدَّها الرسول ﷺ من صفات المرأة المثالية : العطف على الأطفال وحُسن تربيتهم، وحُسن تدبير ورعاية شئون الزوج المالية وما إليها.. فقال :

« **خير نساء ركبن الإبل : صالحو نساء قريش : أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده** » [رواه البخاري في كتاب النكاح من صحيحه] .

بهذا تكون قد قد تكشفت لنا وجهة نظر الرسول ﷺ في المرأة المثالية ؛ فهو يراها بكرًا .. ولودًا .. ودودًا.. حسنة الوجه والمظهر بحيث تسر زوجها عندما ينظر إليها.. موافقة لزوجها ومتوافقة معه.. متدينة.. أمينة.. حافظة لغيبة زوجها في نفسها وماله بما حفظ الله.. حنونة عطوفة على أطفالها.. تحسن تدبير ورعاية شئون زوجها على جميع المستويات.

وتلك الوجهة من النظر إن دلت على شيء ، فإنما تدل على سعة أفق وعمق رؤية الرسول ﷺ للمرأة المثالية ، فهي وجهة نظر كاملة متكاملة ، تراعى المنافع العاجلة والآجلة، وتتماشى مع الفطرة الإنسانية في نقائها وأصالتها، ولا تغفل طبيعة توجهاتها .



- لا تنسى أنها أنثى !! :

المرأة المثالية في أعين الرجال هي التي لا تنسى أنها أنثى ، فكلمة امرأة عند معظمهم تعني « **الأنوثة** » ، والأنوثة تعني بدورها الرقة والجاذبية والدلال .

غير أننا نشهد في أيامنا هذه بعض الدعوات المنحرفة التي يعتقد أصحابها أن الجاذبية

والرقة والدلال أمور تسيء إلى استقلالية المرأة، ولا تفيد إلا في إذكاء روح التعالي والغرور عند الرجل !.

ولا شك أن مثل هذه النظرة خاطئة تمامًا ومنافية لمنطق الأشياء حسبما يشير كثير من علماء الاجتماع والنفس؛ فالأنوثة الكامنة في جمال المرأة تلعب الدور الأساسي في الإبقاء على التوازن الطبيعي في العلاقة بين الجنسين ، مثلما أن جاذبية الزهرة اليانعة ونضارتها هما علة التوازن الطبيعي مع النحلة التي تمتص الرحيق لتحوله إلى عسل ، وفي نفس الوقت تنقل غبار الطلع من زهرة إلى زهرة؛ فيكون التلقيح ، ويكون الثمر ، وتكون الحياة!. إن كل امرأة تُعني بمظهرها الخارجي ، وتسلك سلوك الأنثى، فتحرص على إبراز رقتها، وإظهار جاذبيتها، وتتحلى بدلالها، مثل هذه المرأة تعطي الدليل على تقديرها لأنوثتها، وتبرهن على رغبتها المشروعة في أن تجذب وترضي زوجها .

- تراعي الأولويات :

تعمل المرأة المثالية غالبًا وفقًا لنظام الأولويات ، وفي هذا النظام تحتل العلاقة بين الزوجين – العاطفية والجسدية – المقام الأول .

فلا تهتم المرأة بشيء مثل اهتمامها بزوجها ، لأنها تعلم أن هذا هو أحد مقومات السعادة الزوجية ، يقول أحد كبار علماء النفس : « إن المؤسسات الزوجية الناجحة هي التي تقوم على (نظام الأولويات) المدروس دراسة وافية » . وهذا يعني أنه لا ينبغي للمرأة أن تترك حبها لأولادها واهتمامها بهم يطغي على حبها واهتمامها بزوجها .

ومن مقتضيات نظام الأولويات ألا تظن المرأة أن عملها الخاص يأتي في المقام الأول، فالمقام الأول هو للعلاقة بينها وبين زوجها كما سبق أن أشرنا. وعلى ذلك فيلزم أن تتخلى المرأة عن عملها إذا وجدت فيها ما يعارض أو يعكر صفو حياتها الزوجية .

- منطقية في متطلباتها :

يقول مثل طريف : « **إن المرأة لا تريد إلا الزوج ، فإذا حصلت عليه أرادت كل شيء!** ».

فثمة نساء يدفعن أزواجهن في سُبل شائكة وملتوية لا قبل لهم بها ، ثم يثرن ويتذمرن إذا أعلن الزوج عدم قدرته على تحقيق شيء من تلك المتطلبات.

وهذا يؤدي وفقًا لطبيعة الأمور بالحياة الزوجية إلى طريق مسدود بالعقبات المصحوبة بالمشاحنات؛ مما يعني نزاعًا في صميم تلك الحياة قد يترتب عليه انهيارها.

ومن هنا قال الشاعر :

إنك إن كلفتني ما لم أطق   ساءك ما سرك مني من خلق

وقد اعتبر معاذ بن جبل المرأة التي من هذا القبيل من الفتن ، وعلى الخصوص فتن السراء، التي يخشى على المؤمنين منها.. فعن رجاء بن حَيْوة، عن معاذ بن جبل قال :

« إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإني أخاف عليكم من فتنة السراء: وهي النساء، إذا تحلين بالذهب، ولبسن رَيْط[1] الشام، وعُصَب اليمن[2]؛ فأتعبن الغني، وكلّفن الفقير ما لا يطاق »

والمرأة المثالية لا تمثل إطلاقًا أي لون من ألوان الفتنة للرجال ؛ بل هي عون لهم على الفتن؛ إذا تحكّم دائمًا عقلها في مثل هذه الأمور، فلا ترهق زوجها بطلبات لا منطقية ، ولا تحمله فوق طاقته ، ولا تثقل كاهله بالديون في سبيل إشباع بعض الرغبات أو النزوات .

ومن الأمثلة النادرة التي يحدثنا بها التاريخ عن مثالية بعض الزوجات اللاتي يقدرن ظروف أزواجهن تقديرًا لا حدّ له ، حتى لو كان على حساب مصلحتهن - ما ترويه كتب الطبقات عن فاطمة الزهراء عندما مرت بها وبزوجها عليّ بن أبي طالب بعض الصعوبات الاقتصادية، مما أدّى بها إلى أن تطوي ثلاثة أيام جوعًا، ولما رآها الإمام عليّ وقد اصفرَّ لونها، قال لها: ما بك يا فاطمة؟. قالت : منذ ثلاث لا نجد شيئًا في البيت !. فقال لها : ولماذا لم تخبريني؟ . فأجابت : ليلة الزفاف قال لي أبي رسول الله ﷺ : **« يا فاطمة ، إذا جاءك عليّ بشيء فكليه ، وإلا فلا تسأليه! »** .

- لا تختلق النكد :

إن سعادة الرجل في حياته تتوقف على مزاج زوجته أكثر من أي شيء آخر.

وقد تتمتع المرأة بكل فضيلة أخرى تحت الشمس ، ولكن هذه الفضائل كلها تصبح لا وزن لها ولا قيمة إذا كانت المرأة ذات « مزاج نكدي ». فالمزاج النكدي للمرأة يسبب من التعاسة للرجل ما يسببه السفه. وتدل الاستقراءات العديدة لكثير من الزيجات على أن النكد الذي تخلقه المرأة هو من أكبر العوامل التي تقوّض صرح السعادة الزوجية. وقد قال كثير من الرجال : إن أسوأ صفة من الممكن أن تتصف بها المرأة هي « اختلاق النكد » .

وتشير الدراسة المتأنية للأسباب التي تدفع بعض الرجال إلى هجر زوجاتهم، إلى أن معظم الرجال لا يفعلون ذلك بحثًا عن زوجة أجمل أو أكثر شبابًا، وإنما فرارًا من الجو القاتم المحطم

---

(١) رَيْط : جمع ريطة ، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجًا واحدًا .

(٢) عُصب : جمع عصابة ، وهي التاج والعمامة .

للأعصاب الذي كانت تظلل به الزوجة الأولى البيت بما تختلقه من نكد، وتفتعله من صدام!. وبرغم ذلك، فما زال كثير من النساء منذ عهد الكهوف حتى اليوم يحلو لهنّ « اختلاق النكد » ! في حين أن المرأة المثالية اللاتي يكرم الله تعالى بها بعض الرجال، تجد سعادتها في كونها نبعًا فياضًا بالحب والسكينة .

- تحافظ على صورتها الحلوة :

لعل أول ما يجعل الرّجل يتعلق بالمرأة هو صورتها الحلوة التي رآها عليها أول مرة. ولكن للأسف بعض النساء ينسين هذه الحقيقة بعد الزواج؛ فيهملن في أنفسهن شيئًا فشيئًا؛ فتراها في المنزل منكوشة الشعر، أو تعصبه بإهمال، ورائحة المطبخ تستقبلك منها، وتظل مرتدية الملابس التي كانت تؤدي بها سائر أعمال المنزل، متجاهلة الذوق العام والآداب المرعية والجوانب النفسية والجمالية، ولا تزال مصرّة على هذا الإهمال لا سيما بعدما يجيء العدد الكافي من الأولاد؛ فها هي قد كبّلت الرجل.. فلا يستطيع فرارًا !!.

وهذا خطأ قاتل ؛ إذ يؤدي إلى تصديع وانهيار الصورة التي رسمها الرجل عن المرأة ساعة زواجه بها ولا شك أن انهيار صورة المرأة الحلوة في نظر زوجها سيؤتي عواقبه الوخيمة.

ولذلك لا تندهش عندما نجد زوجة جميلة يهملها زوجها، ويتطلع إلى غيرها، بينما نجد زوجة أخرى قليلة الجمال ولكنها تمتلك قلب زوجها وعواطفه بحفاظها على أناقتها، وحرصها على نظافتها وبهاء زينتها وملبسها .

- تتحلى بـ « اللباقـة » :

تضع المرأة المثالية في حسبانها دائمًا أنه ليس هناك أجدى من « **اللباقة** » في تحقيق الانسجام مع الرجل ، فهي السحر الذي يسمح لها أن تنفذ إلى أعماق قلبه ووجدانه في أغلب الأحيان. واللباقة تعني بكل بساطة : الكلمة المناسبة ، الفعل الملائم ، ردّ الفعل الذكي .

أو بعبارة أخرى : إن المرأة اللبقة هي التي تلبس لكل حالٍ لبوسها! وتستطيع أن تحول الموقف المضاد بذكاء الكلمة والفعل إلى صالحها.. ومن أفضل ما يحدثنا به التاريخ من لباقة المرأة ؛ أمة كانت أو حرّة؛ ما يرويه الأصمعي في الأغاني ، فيقول :

دخل رجل على الرشيد ومعه جارية للبيع ، فتأملها الرشيد ، ثم قال : خذ جاريتك ، فلولا كلف[1] في وجهها ، وخنس[2] في أنفها ، لاشتريتها، فانطلق الرجل بها، فلما بلغت الستر،

(١) الكَلَف : نمش يعلو الوجه كالسمسم . و- حمرة كدرة تعلو الوجه – البهق .
(٢) الخنس : انخفاض في قصبة الأنف مع ارتفاع قليل في طرف الأنف .

قالت : يا أمير المؤمنين ، اردني إليك ، أنشدك بيتين حضراني .

فردّها .. فأنشدت تقول :

ما سلِمَ الظبيُ على حُسنه	**كلا ولا البدر الذي يوصف**
الظبي فيه خنس بَيِّنٌ	**والبدر فيه كلف يعرف**

فأعجبت الرشيد بلاغتُها، فاشتراها ، وقرّب منزلتها ، وكانت من أحظى جواريه عنده .

وأيضًا مما يرويه المؤرخون في الدلالة على لباقة بعض النساء : أن خالد بن يزيد بن معاوية وقع يومًا في عبد الله بن الزبير عدو بني أمية اللدود، وأقبل يصفه بالبخل ، وكانت زوجته رملة بنت الزبير أخت عبد الله جالسة ، فأطرقت ولم تتكلم بكلمة ، فقال لها خالد:

ما لك لا تتكلمين ؟ أرضيً بما قلته أمْ تنزهًا عن جوابي؟!.

فقالت : لا هذا ولا ذاك!! ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال ، إنما نحن رياحين للشم والضم! فما لنا وللدخول بينكم؟!.

فأعجبه قولها وقبّلها بين عينيها ..

ومن المعلوم أن العرب كانوا يفضلون البكر على الثيب ، ولكن برغم ذلك أحيانًا كانت الثيب تجذبهم إذا ما تميزت باللباقة وذكاء الكلمات ، مما يكشف لنا عن أهمية هذه الصفة في المرأة بالنسبة للرجل . فمثلًا : عرضت جارية على الخليفة المتوكل ، فقال لها :

أبِكرٌ أنت أم إيشْ[1]؟ فقالت : أنا إيشْ يا أمير المؤمنين . فضحك واشتراها .

وقال الجاحظ : قلت لجارية ببغداد : أبكر أنت؟ فقالت : نعوذ بالله من الكساد .

وقال علي بن الجهم : اشتريت جارية ، فقلت لها : ما أحسبك إلا بكرًا! فقالت : يا سيدي كثرت الفتوح في زمان الواثق .

فتلك النصوص والوقائع تكشف لنا مدى أهمية لباقة المرأة وقدرتها على الحديث الذكي ، بالنسبة للرجل. وما أجدر المرأة أن تنمي من قدرتها على انتقاء ألفاظها، واختيار كلماتها، وحسن حديثها؛ فإن هي استطاعت ذلك أمكنها أن تضيف إلى مقوماتها الجذابة صفة جديدة.

- تحرص على تحصيل خبرات جديدة :

تتميز بعض النساء عن غيرهن بقدرتهن المتواصلة على تعلم كل جديد، والاستفادة المتوالية من خبرات الآخرين وتجاربهم؛ انطلاقًا من الإيمان القوي بأن أفضل وسيلة

---

(١) أي شيء .

« للتجدد » هي التعلم المستمر وإضافة خبرات جديدة إلى خبراتها السابقة .

ومثل هذه المرأة تعتبر نعمة من نعم الله على بعض الأزواج، أما الأخرى فنقمة وبلاء عليه؛ فليس أصعب على الرجل وأدعى لشعوره بالسأم والملل من امرأة تقليدية لا تجدد نفسها وترفض تعلم أساليب وخبرات جديدة تعلي من قدرها وتزيد من ثقافتها، وتنمي شخصيتها.

وقد حدثني صديق عن واحدة من هذا الصنف قضت على حياتها مع صديق له بسبب إصرارها على ما اعتادت عليه من عادات متخلفة تعكس وجهة نظر غير سوية للحياة ولطبيعة العلاقات الإنسانية . فخسرت تلك الحمقاء - على حد تعبير ذلك الصديق - زوجًا من الصعب عليها أن تعوضه .

والمرأة المثالية على النقيض من تلك الحمقاء ؛ حيث تتمتع بعقلية مرنة تتقبل كل جديد، وتتعلم من كل تجربة، وعندها الاستعداد للتخلي عما تعلمته من أساليب غير ناضجة لا تتلاءم بأي حال من الأحوال مع ظروف حياتها الجديدة. ولذا فهي امرأة تملك من النضج والاكتمال ما يتيح لها أن تواكب حركة الحياة والتطور الإنساني في إطار تعاليم دينها وقيمه العُليا.

- مستقلة الشخصية عن أمها :

أحيانًا بعض الزوجات تحتم عليها الظروف أن تظل بعد الزواج طفلة تعتمد في كل شيء على أمها، ولا تستطيع أن تتصرف في شئونها وشئون زوجها إلا على ضوء ما تمليه عليها والدتها؛ مما قد يضيق به صدر الرجل الذي يريد لزوجته أن تكوّن شخصية مستقلة تصدر في أفعالها عن وعي ناضج وتفكير شخصي .

ولا شك أن مثل هذه الزوجة إنما ينقصها نضج الشخصية الذي يسمح لها بأن تستقل في تفكيرها وسلوكها عن والديها أو من كان يقوم مقامهما .

ولسنا بحاجة للتأكيد على أن المرأة المثالية بعقليتها المتكاملة وشخصيتها الناضجة، مستقلة تمامًا عن كل أحد سوى زوجها الذي يمثل نصفها الآخر .

- تجيد معاملة أهل الزوج :

كثيرًا ما تحدث مصادمات بسبب عدم القدرة على التعامل مع أهل الزوج، فقد يكون أحدهم لا يحسن اختيار ألفاظه، أو سيئ التصرف، ولا سيما الحموات.

والمرأة العاقلة هي التي تستطيع كظم غيظها، وتلتمس الأعذار لمن تتعامل معهم، ولا تعتبر زوجها مسئولًا عن تصرفات أهله، فلا تزر وازرة وزر أخرى.

ومن أفضل الأساليب التي تلجأ إليها تلك الزوجة الحكيمة أنها تضع نفسها موضع

حماتها، وتعاملها بالشكل الذي تحب أن تُعامل هي به عندما تصبح حماة وعندما تشعر الزوجة هذا الشعور، وتعمل من ذلك المنطلق فسيهون عليها كثير من المنغصات التي تعكر عليها صفو علاقاتها بزوجها .

- تعلم أن النظافة أبقى لها من الجمال :

والمرأة المثالية تعمل دائمًا على أن يأنس منها زوجها التجمل والزينة، وتحرص على أن تبدو نظيفة في نفسها وفي بيتها وكل متعلقاتها؛ لأنها تعلم أن النظافة أبقى لها من الجمال، وأن الزوجة المهملة لنظافتها تصبح منفرة لزوجها .

ومن أعجب الأعاجيب أن هناك من النساء مَنْ تُصر على أن ترتدي أجمل الثياب وتتحلى بأنواع الحُلِيّ حين تخرج من المنزل ، أما في البيت فلا جمال ولا زينة ولا .. وشبيهة بها من تُصر على عدم إزالة الشعر غير المرغوب فيه ، أو من ترفض إزالة بعض الروائح من أماكن معينة!!.

ولو تعلم أمثال تلك النسوة مقدار ما تمثله هذه الأفعال من معاول هدم، لما جرأت على اقترافها، ولاستجابت لأوامر الشريعة بالنظافة والتطهر.. تروي السيدة عائشة : أن امرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض ، فعلّمها النبي كيف تغتسل ..

ثم قال لها : « **خذي فرصة ممسّكة** (أي قطعة من القطن بها أثر الطيب) **فتطهري بها** » .
قالت : كيف أتطهر بها؟ قال : « **تطهري بها!** » . قالت : كيف يا رسول الله أتطهر بها؟.
فقال لها : « **سبحان الله ، تطهّري بها!!!** » . قالت السيدة عائشة : فاجتذبتها من يدها، فقلت : ضعيها في مكان كذا وكذا ، وتتبعي بها أثر الدم، وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه . [رواه البخاري ومسلم] .

فهذا توجيه تعمل وفقًا له كل امرأة مثالية ، فتتطهر من آثار الروائح غير الطيبة بوسائل مختلفة حسب مقتضيات التطور والحداثة؛ لما في ذلك من أثر جميل في نفس الزوج . ولنا وقفة أخرى تفصيلية مع هذه المسألة عند الحديث عن وسائل الدخول إلى قلب الرجل في فصل « **المرأة المثالية والجنس** » .

ولكن ينبغي أن نوضح قبل ذلك أن تأكيدنا على أهمية التطهر والنظافة لا يعني مطلقًا دعوة إلى الإسراف والإفراط في هذا الأمر، ولذا فيجب أن تؤخذ هذه الدعوة في إطار من الوسطية والاعتدال.. وذلك ينقلنا إلى النقطة التالية ..

- لا تفرط في الزينة ومجاراة خطوط الموضة :

فهي واثقة بنفسها ، وليس لديها شعور بالنقص يدفعها إلى خوض مجالات غريبة تحاول

بها تعويض هذا النقص .

في حين أن المرأة التي تشك في نفسها ، وينتابها شعور بالنقص تجاه الأخريات من أترابها، تحاول أن تؤكد شخصيتها في دائرة الأنوثة بالاستزادة من الزينة وباتباع أحدث الموضات، معتقدة أن في هذا تعويضًا للشعور بالنقص ، وأنها بذلك سيمكنها أن تفوز باهتمام الرجل.

ولكن .. هيهات .. فليس بالإسراف في الزينة والموضة تستطيع المرأة أن تفوز بالرجل، وإنما يمكنها ذلك بأشياء أخرى كثيرة طالما أشرنا إليها في كتابنا هذا .

- أمينـة .. مخلصـة.. :

المرأة المثالية مخلصة لزوجها حتى لو كانت لا تحبه ، فطالما ارتبطت به بعلاقة الزوجية التي تعد من أرقى العلاقات الإنسانية فإنها تحترم تلك العلاقة أبدًا .

أما الأخرى التي يحتقرها الجميع ، فهي التي تجيد اللعب على زوجها في الليل ، ثم على عشيقها في النهار[١]. والغريب في أمرها أنها تغار على من تخون وأيضًا على من تعشق ، فهي مثلًا تثور عندما يذكر أحدهما اسم امرأة أخرى على لسانها أمامها مع أنها تعاشر كلا منهما على التوالي !!

ولن تدوم علاقة قامت على الخيانة والخداع ، فكما أن للظلم نهاية ، فإن للخداع أيضًا نهاية، لكنها غالبًا ما تكون مؤلمة ، والخاسرة طبعًا هي المرأة .

ولأن المرأة المثالية تعرف هذه الحقائق ، أو تحسها على الأقل بحدْسها البصير، ولأنها امرأة سوية مهذبة يسري في روحها وجسدها حب الأخلاق والفضيلة قبل كل حب، لا تسمح لنفسها بالتوجه نحو شخص آخر غير زوجها. وفي أسوأ الظروف عندما يلفت نظرها رجل آخر فإن الأمر يبدأ وينتهي عند هذا الحد.. حدّ لفت النظر، دون أن تسمح لنفسها بإقامة علاقة من أي نوع مع ذلك الرجل . ولا شك أن تلك المرأة الأمينة المخلصة تستحق الثناء الجميل الذي أثنى به عليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ [النساء : ٣٤]. فالحافظات للغيب ذلك الوصف الجميل للمرأة الصالحة يُقصد به أن من سماتها الجوهرية حفظ غيبة الزوج بالإخلاص له والوفاء للميثاق

---

(١) غني عن البيان أننا إذ نتحدث عن طبيعة المرأة الخائنة واللعوب والمخادعة ، وغيرها من الأصناف المنحرفة ، فإننا لا نخرج عن المنهج القرآني ، بل نتأسى به ونقتفي أثره ؛ فالقرآن قد تحدث بإفاضة عن كيد بعض النساء وانحرافهن وخيانتهن في غير موضع ، لا سيما في سورة يوسف التي هي تسجيل لانحراف امرأة وعفّة نبي ، من أجل العبرة والعظة . فالتحدث عن الشر ليس خطأ بل صوابًا ومنطقيًا ؛ حتى يمكن تجنبه وتوقيه ، أو كما يقول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

الغليظ الذي بينهما ، فلا تخونه في نفسها ولا ماله .

ولم يكتف الإسلام بمدح تلك الصفة في المرأة في القرآن الكريم فحسب ، بل اعتبرها الرسول ﷺ إحدى صفات ثلاثة تتميز بها : « **خير النساء** » .. نعم « **خير النساء** » .. فقال في الحديث الصحيح : « **خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك** » .

وفي رواية أخرى لهذا الحديث اعتبر الرسول ﷺ مثل هذه المرأة خير ما يكنز الرجل ، فقال مخاطبًا عمر بن الخطاب : « **ألا أخبرك بخير ما يكنز ، المرأة الصالحة: إذا نظر إليها زوجها سرته.. وإذا أمرها أطاعته.. وإذا غاب عنها حفظته** » . [أخرجه أبو داود عن ابن عباس].

- غير مسرفة في الاختلاط بالجيران .. ولا تُدخل أحدًا دارها إلا بإذن زوجها:

فكثرة الاختلاط بالجيران ، والتداخل المستمر معهم ، من الأسباب التي تجلب كثيرًا من المتاعب ، ويتمخض عنها غالبًا احتكاكات غير لطيفة .

ومن هنا فإن معظم الرجال ينظرون بعين التقدير للمرأة التي تدرك تلك المسألة وتعمل وفقًا لها..

جاء في كتب الأدب : « أن رجلًا قال لخاطب : أبغني امرأة لا تؤنس جارًا ، ولا توهن دارًا، ولا تثقب نارًا » .. فذلك الرجل الحكيم يريد امرأة لا تدخل على الجيران، ولا يدخل عليها الجيران بدون داعٍ، ولا تغري بينهم بالشر.

وفي نحو هذا يقول الشاعر :

من الأوانس مثل الشمس لم يرها ... في ساحة الدار لا بعل ولا جار

وقد بيّن الرسول ﷺ أن من حق الرجل على زوجته ألا تدخل أحدًا منزله إلا بإذنه ، فقال: « ... **ألا إن لكم على نسائكم حقًا ، ولنسائكم عليكم حقًا ؛ فحقكم عليهن ألا يُوطئن فروشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون** ..» [رواه ابن ماجة والترمذي، وقال : حديث حسن صحيح .

ومعنى : « **ألا يُوطئن فرشكم من تكرهون** » – قال ابن جرير : (معناه: أن لا يمكِّنَّ أنفسهن أحدًا سواكم) ، وردَّ البعض على هذا التفسير بأنه لا معنى حينئذ لاشتراط الكراهية؛ لأن الزنا حرام على جميع الوجوه.

وذهب الخطابي إلى أن معناه : «ألا يأذنّ لأحد من الرجال فيتحدث إليهن، وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب لا يرون في ذلك عيبًا ولا يُعدونه ريبة، فلما نزلت آية الحجاب وصارت النساء مقصورات، نهى عن محادثتهن والقعود إليهن » .

- **تعيش الحاضر فقط :**

كثير من النساء يلححن في سؤال أزواجهن عن نزواته السابقة ، وما هي أوصاف من تعلق قلبه بها.. والواحدة منهن عندما تسأل زوجها مثل تلك الأسئلة تؤكد له أنها لن تغضب ولن يؤثر ذلك فيها !.

وإذا استجاب الرجل لهذا الإلحاح ، فإنه يكون قد وقع في أكبر الأخطاء التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا على علاقة المرأة به ؛ لأنها مهما أقسمت له بأغلظ الإيمان أن صراحته لن تؤرقها، فهي تخدعه وتخدع نفسها.. فأي اعتراف من الرجل بعلاقاته السابقة أو بشعوره تجاه بعض النساء، يكون أشبه بفتيلة مشتعلة بضعها يضعها في حياته الزوجية من الممكن أن تشعلها نارًا في أي لحظة ؛ فالمرأة لا تنسى! .

ومن أدلة ذلك امرأة « **ليو تولستوي** » طلبت منه معرفة تجاربه التي مرّ بها مع الجنس الآخر قبل أن يتزوجها؛ فأجابها إلى ما طلبت. وكانت النتيجة ضنكًا وجحيمًا؛ حتى إنه علق على ذلك في أواخر حياته قائلًا : « كانت تلك الذكريات أشبه بفتيلة وضعتها بنفسي في ثنايا حياتنا الزوجية؛ فقد اشتعلت غيرة زوجتي دون مبرر لهذه الغيرة، وبدرجة أحالت حياتنا الحلوة الصافية إلى جحيم متأجج » .

ومن ثَم فإن المرأة المثالية لا تلح في التعرف على ماضي زوجها العاطفي، لأنها تعلم أن الجهل يكون أحيانًا مفيدًا ؛ أو لأنها تعمل بمنطق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة : ١٠١] .

ولكن في كثير من الأوقات تحرص المرأة المثالية على التعرف عما يرغب فيه الرجل أو يجذبه في الأنثى ولذا فهي تسأله عن ذلك سؤالًا مجردًا عن الشخصيات ، أي تسأله عن الأفعال والصفات لا عن فاعليها أو حامليها.

- **لا تعتبر المال أصدق دليل على الحب :**

من النساء من يعتقدن أن إنفاق الرجل المال عليهن أصدق دليل على الحب ، فكلما أنفق الرجل أكثر اعتقدن أنه يحبهن أكثر، وكلما قصَّر في الإنفاق أو عجز عنه، اعتقدن أنه قد كفّ عن حبهن.

وهذا الاعتقاد ليس له مكان في عقل المرأة المثالية ؛ لأنها تدرك تمامًا أن مظاهر الحب متعددة، منها الكلمة الطيبة، والسلوك المعبِّر، والعاطفة الجيَّاشة، وقد يكون المال إحدى الوسائل التي يلجأ إليها بعض الرجال للتعبير عن حبهن.. أقول إحدى الوسائل، وليس كل شيء.. فهو ليس المقياس الأوحد الذي تقيس به المرأة المثالية حب الرجل؛ وفي أحيان كثيرة لا يعتبر مؤشرًا – على

الإطلاق - على أن الرجل يحب ، بل قد يكون إحدى وسائل الإغراء والغواية .

- ليست مسرفة في طعامها وشرابها :

المرأة المثالية امرأة معتدلة في كل شأنها ، لا تُفرِط ولا تُفرّط . فهذا دأبها وديدنها دائمًا أبدًا.. ومن مظاهر ذلك أنها لا تسرف في طعامها وشرابها استجابة لمقتضيات العقل وتنفيذًا لأوامر الله تعالى عندما قال : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ [الأعراف : ٣١] .

ثم إن الرجال غالبًا لا ينظرون بعين الاحترام للمرأة الأكولة المسرفة في شرابها؛ فهم يعدّون ذلك من جوانب النقص . والبعض منهم يعتبرها نقيصة لا يشفع لها حتى جمال المرأة. من هؤلاء معبد بن خالد الجدلي قال : « خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد - وكان النساء يجلسن لخُطّابِهِنّ - قال : فجئت لأنظر إليها ، وكان بيني وبينها رواق[1]، فدعت بجفنة عظيمة من الثريد، مكللة باللحم[2] ، فأتت على آخرها، وألقت العظام نقية، ثم دعت بشن عظيم مملوءة لبنًا، فشربته حتى أكفأته على وجهه . ثم قالت : يا جارية ، ارفعي السجف[3] ؛ فإذا هي جالسة على جلد أسد، وإذا شابة جميلة، فقالت : يا عبد الله ، أنا أسدة من بني أسد، وعلى جلد أسد، وهذا طعامي وشرابي؛ فعلام تراني؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر!.

فقلت : أستخير الله في أمري وأنظر ! قال : فخرجت ولم أعد! » .

- ليست مهملة :

المرأة المثالية امرأة حريصة غير متهاونة أو مهملة ؛ فعندما تفتح بابًا لا تنسى أن تغلقه، وإذا أخفت شيئًا لا تنسى موضعه ، وإن اعتبرت بحادث لا تنسى عبرته ، ولو ائتمنها أحد على سر لا تنسى أن تكتمه ..

- تقدّر الأمور بقدرها .. فلا تقلب الميزة عيبًا :

عندما تحكم المرأة المثالية على الأمور ؛ فإنها تقدر كل شيء بقدر ، فتقييمها مثلًا لصفات الرجل يظل ثابتًا سواء أحبته أم كرهته، لأنها تملك الحد الأدنى من الموضوعية التي تعصمها عن بخس الناس أشياءهم .

أما المرأة الأخرى التي تتلون أحكامها وفقًا لحالتها المزاجية ، فلديها القدرة على تحويل الأشياء إلى نقيضها، فعندما تكره الرجل أو لا تستسيغه، فإنها تقلب مميزاته عيوبًا ، ومحاسنه

---

(١) أي حاجز أو ستار . (٢) أي دعت بوعاء قد فُتّ فيه الخبز المخلوط بمرق اللحم والدجاج . (٣) أي الستائر .

مساوئ ، حتى تبرر لضميرها خداعه وخيانته، فتسمى الكرم تبذيرًا ، والمرح طيشًا، والقوة استبدادًا !.

- لا تحمل في عقلها سجلاً أسود :

المرأة المثالية ذات قلب أبيض ، لا تحمل في عقلها سجلًا أسود ضخمًا تدون فيه كل نقائص زوجها ، صغيرة وكبيرة . وحتى إن كانت تسجل في ذهنها تلك النقائص فهي لا تتحدث بها ولا تستخدمها استخدامًا سيئًا بمناسبة أو بغير مناسبة .

وهي أيضًا تقدر تلك النقائص بقدرها ، فلا تضخمها أو تهولها .. وتضع بجوار تلك النقائص مميزات زوجها وسمات عبقريته . وإن كانت تلك المميزات من القوة بمكان فهي تقضي على عيوبه ونقائصه في عقلها ؛ لأنها تعمل بمنطق : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود : ١١٤] .

لكن هناك نوعية من النساء لا تدري أين مصلحتها ، ولا تعرف مواطن الضرر، فتعمل على إفساد حياتها الزوجية – دون أن تدري – عندما تُحَدّث الرجل في كل مناسبة عما فيه من كبائر النقائص وصغائرها وكان الأجدر بها ألا تستخدم هذه النقائص ذلك الاستخدام السيئ ؛ لا لمصلحة لزوجها فقط ، وإنما لمصلحتها هي أيضًا .

- تتخذ موقفًا إيجابيًا تجاه عيوبها وعيوب زوجها :

لا شك أن الزواج يعتبر بمثابة الضوء الساطع الذي يسلط على الشخصية ، فيكشف عن عيوبها ونقائصها في وضح النهار !.

والمرأة المثالية هي التي تتخذ موقفًا إيجابيًا من تلك العيوب ، سواء كانت عيوب الرجل أم عيوبها هي .

أما موقفها من عيوب الرجل فينبغي عليها ألا تحاول دائمًا أن تنتقد تصرفاته، كأنها مكلفة بذلك؛ فالمرأة التي لا همّ لها سوى البحث عن نقائص زوجها، والاجتهاد في إظهار معايبه أمام الناس، والتحدث عن مظاهر ضعفه في مناسبة وغير مناسبة، إنما هي زوجة حمقاء تهدم عشها بيدها !.

والموقف الحكيم الذي عليها أن تقفه يتمثل في اختيارها للوقت المناسب الذي تستعرض فيه مع زوجها عيوبه من وجهة نظرها، وتتخير الأسلوب الحسن ، والكلمات الرقيقة، حتى لا تجرح مشاعره، موضحة له أن هدفها من ذلك هو أن تراه في أحسن صورة، وأنها تفعل ذلك لاهتمامها به وحرصها عليه ، ولو لم يكن مهمًا وعزيزًا عليها لما ألقت إليه بالًا .

أما عيوبها هي ، فعليها أن تنصت باهتمام إلى استماع وجهة نظر زوجها فيها، وتتفهم ما

يقوله لها ، صادقة النية في تغيير ما يراه هو واجب التغيير .

- تتنزه عن الشجار والجدال :

الشكوى .. التعيير .. التحقير .. الزراية .. الاستخفاف .. ألوان ممنوعة من التعذيب النفسي التي تتخصص الزوجة في إحداها أو فيها جميعًا !.

وأسوأ ما في « النقار » أنه قد يبدأ عفوًا ، ولكنه سرعان ما يتحول إلى عادة راسخة !.

فالزوجة التي تبدأ وهي في سن العشرين تتساءل متى يتسنى لزوجها أن يشيد لنفسه بيتًا كما فعل صديقه « فلان » ، تستحيل في سن الأربعين إلى زوجة مصابة بداء « النقار المزمن! » .

ومن أسوأ مظاهر « النقار » أن تعيّر المرأة زوجها بغيره من الناس .. لماذا لا تكسب مثلما يكسب فلان؟!.. لقد اشترى أخي لزوجته كيت وكيت.. فهو يحذق فن كسب المال.. لو أنني تزوجت من « فلان » لما كان هذا حالي.

أما المرأة المثالية فهي تتنزه عن تلك الممارسات « غير المجدية » ؛ لأنها تعلم بحسها المرهف أن لا شيء يُقَوّض ثقة الرجل بنفسه ، ويحطم نفسيته ، ويقتل آماله ، ويزعزع أركان الحياة الزوجية - كهذه العبارات المسمومة !.

وقد نصح أحد الرجال زوجته فقال :

خذي العفو مني تستديمي مودتي	**ولا تنطقي في سوْرتي حين أغضب**
ولا تنقُريني نقرك الدف مرة	**فإنك لا تدرين كيف المُغيَّب**
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى	**ويأباكِ قلبي والقلوب تقلَّب**
فإني رأيت الحُبَّ في القلب والأذى	**إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب**

- لا تدفع زوجها إلى التهور :

عندما يحدث تصادم ما مع الأهل أو الأصدقاء أو الجيران ، في غياب الرجل.. فإن ردود أفعال النساء تتباين من واحدة إلى أخرى عند حضوره..

فالحمقاء تجد لذة خبيثة في تجسيم النزاع ، وتحويره وتهويله! زاعمة أنها قد أهينت في صميم كرامتها، وأنها ليس لها رجل يعرف كيف يدافع عنها، ويُلزم خصومها المعتدين حد الاحترام والأدب !.

وبهذه الطريقة الطائشة في خبثها ، الحمقاء في مكرها ، تمضي تلك المرأة في إثارة أعصاب زوجها، وإيغار صدره على الناس ، حتى إذا امتلأت نفسه غيظًا وحنقًا ، وثار ،

وتهور في ثورته إلى حد الخطر ، رُوّعت المرأة وولولت وانتحبت، وراحت تؤكد بأغلظ الأيمان أنها لم تقصد إلى شيء من هذا ، بل لم تتوقع حدوث ما حدث !!..

وهكذا تجمع تلك الحمقاء أكوام الحطب ، وتشعل فيها النار ، ثم تعجز بعد ذلك عن إخمادها؛ فيتملكها الذعر عندما ترى النار تحرق رجلها ، وبيتها ، وحياتها .

ولذلك فقد قال سليمان بن داود في حكمه : « المرأة العاقلة تبني بيتها، والسفيهة تهدمه ». نعم .. إن المرأة العاقلة تبني بيتها لأنها تعمل على أن يضبط زوجها نفسه ، وتحرص على هدوء أعصابه ، ولا توغر صدره ؛ فلا تحرّف الأحداث ، ولا تهول ما حدث من سوء فهم أثناء غيابه ؛ لأنها تعلم أن تهاويل المرأة أفعل في عقل الرجل من السموم، وأفعل في نفسه من وقع الإهانة المباشرة، مما قد يؤدي به إلى ارتكاب فعل يترتب عليه أسوأ النتائج .

- ليست خدّاعــة :

وامرأتنا التي نتطلع إليها ليست خدّاعة .. تخدع غيرها أو حتى نفسها.. وليست مزيفة للحقائق سواء كانت تلك الحقائق قيّمة أم تافهة .

أما المرأة الأخرى التي نسخر منها ولا تنال تقديرنا ، فتلك التي تخدع كل من حولها وحتى نفسها، وهي من فرط تفاهتها تنكر حتى الحقائق التافهة التي لا تقدم ولا تؤخر ..

من تلك التوافه أنها لا تريد أن تعترف بأنها سوف تكبر أو تشيخ ، وتظل على كذبها فيما يخص ذكر عمرها الحقيقي، وكأنها ستبقى شابة إلى الأبد!.

هي مخادعة ، يمكن أن تقول الحقيقة لله تعالى ، ولكنها لا تعترف لصديقتها بنصفها، ولا تعترف بجزء على ألف منها للرجل الذي تحبه !!.

- ليست منّانة :

تخطئ كثيرات عندما يعتقدن أن تذكير الزوج المستمر بما فعلن من أجله قد يظهر فضلهن على غيرهن من النساء . وهذا خطأ يجدر بالمرأة ألا تقع فيه ، فلا تمنّ على زوجها بما قدمت أو تُقدم ؛ لأن المنّ يذهب بالفعل بما في داخليات الرجل نحو المرأة من تقدير أو اعتراف بالجميل .

فالمرأة المثالية تدرك هذا وتتجنبه .. ولذا فهي ليست امرأة منّانة .

- وليست أنّانة أو متمارضة :

وهي لا تكثر من الشكوى والأنين ، ولا تتمارض ؛ فالرجل لا يريد أن يعيش في مستشفى، ولا يريد امرأة تزيد من همّه وغمّه .

- **ولا ثرثارة أو متشدقة :**

والمرأة المثالية تعرف أين مواقع الكلام وأين مواطن الصمت ؛ فتكف عن لغو الكلام وتصون لسانها عن سفاسفه، وتعرف جيدًا متى يحسن الكلام ، ومتى يحسن الصمت !.

- **ولا برّاقة :**

والبرَّاقة هي التي تولي اهتمامها الأول والأخير للتزين والتجمل حتى تكتسب بريقًا مصطنعًا، وتهمل في سائر واجباتها المنوطة بها .

والمرأة المثالية هي التي توازن بين كل ما هو مستلزم منها ، فتعطي للتجمل والتزين حقهما بشكل لا يؤدي إلى الإخلال بأي واجب آخر .

- **ولا حدّاقـة :**

وهي ليست حدَّاقة متطلعة بناظريها إلى مغريات الأشياء ، وما يقتنيه الآخرون من مقتنيات جذابة ؛ فتكلفُ الرجلَ اقتناءها والحصول عليها .

وإنما هي امرأة منطقية – كما سبق أن أشرنا – في كل متطلباتها ، تستطيع أن توازن بين حاجياتها وبين قدرات الرجل الفعلية ؛ فلا تكلفه من أمره عسرًا .

- **لا تضع نفسها مواضع التهم :**

من العادات السيئة التي يتحلى بها كثير من الناس سرعة الظن السيئ بالآخرين لأتفه سبب أو لأقل اشتباه .. وإن كان المرء لا يملك أن يغيّر من عادات هؤلاء شيئًا، فإنه يمكنه ألا يعطيهم أي فرصة أو أدنى مبرر لكي يظنوا به ظن السوء؛ فيتجنب مواضع التهم، ويبعد عن مواطن الاشتباه . وهذا أوجب ما يجب على المرأة المثالية؛ فهي لا شك عفيفة طاهرة قانتة حافظة للغيب بما حفظ الله ، ولكن مع ذلك قد تفعل فعلًا أو يصدر عنها قول – وهي حسنة النيّة – فيظن بها الظنون ظنًا هي أبعد ما تكون عنه ، ولذا فقد قال تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

وإذا لم تسلك المرأة هذا السلوك ، فإنها رغم طهرها وعفافها ستجر على نفسها كثيرًا من المصاعب هي في غنى عنها.. يوضح ذلك ما يرويه ابن عبد ربه في العقد عن هند بنت عتبة، فيقول : « كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش، وكان قد تزوج هند بنت عتبة، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن، فقال[1] يومًا في ذلك البيت وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة، فجاء بعض من كان يغشى ذلك البيت، فلما وجد المرأة نائمة ولّى

---

(١) قال : بمعنى قضى وقت القيلولة – أي الظهيرة – نائمًا أو مسترخيًا .

عنها، فاستقبله الفاكه بن المغيرة، فدخل على هند وأنْبَهها، وقال : من هذا الخارج من عندك؟! قالت : والله ما انتبهت حتى أنبهتني، وما رأيت أحدًا قط. قال : الحقي بأبيك!. وخاض الناس في أمرها ..

فقال لها أبوها : يا بنية ، العارَ وإن كان كذبًا، أبثِّيني شأنَك[١] ، فإن كان الرجل صادقًا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذبًا حاكمته إلى بعض كهان اليمن. قالت : والله يا أبت إنه لكاذب .

فخرج عتبة ، فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن . قال : ذلك لك .

فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف . فلما شارفوا بلاد الكاهن ، تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أي بُنية، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟!

قالت : يا أبت ، والله ما ذلك لمكروه قِبَلي ، ولكنكم تأتون بشرًا يخطئ ويصيب، ولعله أن يَسِمَني بسمة[٢] تبقى على ألسنة العرب .

فقال لها أبوها : صدقت ، ولكني سأخبرُه لك[٣] ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى[٤] عمد إلى حبة بُرٍّ فأدخلها في إحليله، ثم أوكى عليها[٥] وسار، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم . فقال له عتبة ، إنَّا أتيناك في أمر ، وقد خبأنا لك خبيئة، فما هي؟

قال : بُرَّة[٦] في كمرة . قال : أريد أبين من هذا. قال : حبة بُرّ في إحليل مهر .

قال : صدقت . فانظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن، ويقول: قومي لشأنك! حتى إذا بلغ هند مسح يده على رأسها وقال : قومي غير رفحاء[٧] ولا زانية ، وستلدين ملكًا يسمى « معاوية » ! .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنترت يدها[٨] من يده، وقالت: إليك عني! والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك[٩] فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له « معاوية ».

---

(١) ابثِّيني شأنك : أي أطلعيني عليه وكاشفيني به .
(٢) يسمني بسمة : يصفني بصفة الزانية .
(٣) سَأَخْبُرُهُ : سأختبر قدرته على معرفة المجهول .
(٤) أدلى : أخرج جروانه ليبول .
(٥) أوكى عليها : ربط عليها وغطى .
(٦) بُرَّة في كمرة : أي حبة قمح في رأس الإحليل .
(٧) رفحه ترفيحًا : قال له : بالرفاء والبنين ، والمقصود غير حبلى .
(٨) نترت يدها : جذبتها بشدة وعنف .
(٩) يجب الإشارة إلى أننا لا نهدف من وراء الإتيان بهذه القصة إلا إلى الحث على تجنب مواضع الشبهات، أما ما فيها من تصديق للكهان في إخبارهم بالغيب فهو ما نرفضه تمامًا لأن الغيب لا يعلمه إلا الله ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [سورة الأنعام] ، كما قد نهى الرسول ﷺ عن إتيان الكهّان الذين يتنبئون بالغيب ؛ ونفر من ذلك تنفيرًا غليظًا يعلمه الجميع .

وكما يرى القارئ – أو القارئة – فإن هند بنت عتبة رغم شرفها وعفتها إلا أنها عرضت نفسها لتهمة شنيعة نتيجة لفعل فعلته دون قصد وبحسن نية ؛ حيث ظلت نائمة في مكان يغشاه الناس بلا إذن ، فدخل عليها رجل فوجدها نائمة فولى عنها ، ومع ذلك فإن زوجها جاء في لحظة خروج ذاك الرجل ، فظن فيها ظن السوء . وبالطبع فإن زوجها قد تسرّع وأخطأ خطأ كبيرًا عندما ظن بها ذلك؛ لأنه لو كان أعمل عقله قليلًا لوجد أن المكان الذي وجد به الرجل ليس مكانًا خاصًا له حُرمة، وإنما هو مكان للضيافة. إذن فلا محل للشبهة والاشتباه. ولكن لو كانت هند – من البدء – اجتنبت ذلك الموطن لكفت نفسها وأهلها مصاعب كثيرة .

وعلى ذلك ، فإن المرأة المثالية تحرص حرصًا كبيرًا على اجتناب مواضع التهم ومواطن الشبهات؛ حتى تحمي عرضها وسمعتها من أي ظن خبيث من الممكن أن يسرع إلى عقول الحمقى والمتربصين بالناس السوء .. عليهم دائرة السوء !.

- لا تفشي سرًا :

يفضل دائمًا الرجلُ الذكي المرأة الكتومة التي يصعب عليها ، بل يستحيل ، أن تفشي سرًا أو تنقل كلامًا سمعته من أحد المتحدثين .

ولقد بلغ من كره بعض الرجال للمرأة المتساهلة الطائشة التي تتحدث بأخبار الناس وتفشي أسرارهم، أن هجا أحدهم أمه لأنها تسلك هذا المسلك .. يقول الحطيئة لأمه – ولم يسلم من لسانه أحد :

تنحي فاجلسي مني بعيدًا ... أراح الله منك العالمينا

أغربالًا إذا استودعت سرًا ... وكانونًا على المتحدثينا؟

حياتك – ما علمت – حياة سوء ... وموتك قد يسرُّ الصالحينا

ومن أخطر الأسرار التي تنشرها بعض الحمقاوات من النساء – أسرار اللقاء الجنسي.. دون أن تدري إحداهن عاقبة ذلك ، ولو علمت ما فعلت .

وقد نهى الرسول ﷺ نهيًا جازمًا عن مثل هذا العمل ، فروى أحمد بن حنبل عن أسماء بنت يزيد : أنها كانت عند الرسول ﷺ والرجال والنساء قعود ، فقال : « **لعل رجلًا يقول ما يفعل بأهله ! ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها!** ». فأرم القوم[1] ..

فقلت : أي والله يا رسول الله ، إنهن ليفعلن ! وإنهم ليفعلونه !.

---

(١) أرم القوم : صمتوا ولم يجيبوا .

فقال : « **فلا تفعلوا ؛ إنما ذلك الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون!** ».

وقد فسر بعض المفسرين صفة الـ : ﴿حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ الواردة في قوله تعالى : ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء : ٣٤] – فسروها على أن المقصود منها : حافظات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ويتحتم ستره من بواطن وأسرار .

- تتفهم الرجل وتحاول التكيف معه :

وهي تتمتع بتصور واقعي منذ بدء حياتها الزوجية ، فلا تتوقع أن يتحقق التوافق والاتحاد بينها وبين الرجل فور ارتباطهما دفعة واحدة ، بل تضع في ذهنها أن التوافق العاطفي والعقلي يستلزم اجتياز مرحلة – طالت أو قصرت – من « المحاولة والخطأ » .

وليست العبرة هنا بأن تتحاشى كل تجربة ، أو تنأى بنفسها عن كل ما قد يعرضها للخطأ ، بل العبرة بخوض التجارب والاستفادة منها وعدم تكرار الأخطاء ذاتها .

وقبل هذا فإنها تملك رغبة صادقة في التفاهم ، وتعمل باستمرار على تحقيق التوافق والانسجام مع شريك العمر شيئًا فشيئًا . مع الأخذ بأسباب الصبر والأناة والمثابرة في سبيل تجنب دواعي المشاحنة ، وتلافي أسباب الخلاف ، وخلق الجو الملائم لنمو روح التعاطف والحب . ومن المستحيل أن يتم التوافق دون أن يتنازل كل من المرأة والرجل عن بعض أنماط سلوكه وعاداته القديمة. والمرأة المثالية عليها العبء الأكبر في هذا المجال ؛ حتى يمكنها أن تتلاقى مع شريك عمرها ويتلاقى هو معها .

- تحسن تدبير شئون المنزل :

والمرأة المثالية تحسن تدبير شئون المنزل ، وتضع ما لديها من مال في خير موضع وفي أفضل سبيل . ولا يعني حسن التدبير معرفة استخدام الأموال فحسب، بل يشمل كل ما يتعلق بأمور المنزل؛ فالاعتناء بالملابس والأثاث وخلافه يجعل مدة استعمالها تطول ولا تبلى سريعًا. وهذا من شأنه أن يخفف من أعباء الزوج ؛ مما يؤثر أبلغ الأثر في سعادة الأسرة واستقرارها.

- لا تضيع حق زوجها بحجة أداء حق الله :

فهناك من النساء من تظن أن الإسراف في عبادة الله تعالى ولو على حساب زوجها أو أهلها، قد يزيدها قربًا من الله سبحانه .. وهذا ظن يجدر بكل امرأة متفهمة أن تتنزه عنه؛ لأن

الذي أمرها بعبادة الله هو ذاته الذي أمرها بأداء حق الزوج .. ذلك هو الله سبحانه.

وفي هذا المعنى يقول الأصمعي : « رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر، وهي مختضبة[1] سبحة!! فقلت: ما أبعد هذا من هذا! فقالت :

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له » .

فهذه الرواية التي يذكرها الأصمعي تضرب لنا مثلًا رائعًا لامرأة مثالية تملك القدرة على الموازنة بين حقوق الله وحقوق الزوج . ولكن إذا كان التراث يقدّم لنا هذه الصورة المشرفة لزوجة من الزوجات ، فإنه يقدّم أيضًا صورة لزوجة لا تستطيع أن تميز تمييزًا دقيقًا بين الأمور بالشكل الذي تستطيعه المرأة السابقة؛ ولذا فإن الرسول ﷺ يصحح لها الرؤية ، ويوضح لها السبيل القويم.. وذلك في الحديث الذي يرويه لنا أبو سعيد ، فيقول : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ونحن عنده ، فقالت : زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ، ويفطرني إذا صمت ، ولا يصلي الفجر حتى تطلع الشمس ! . قال : وصفوان عنده ؛ فسأله عما قالت ..

قال : يا رسول الله ، أما قولها : يضربني إذا صليت – فإنها تقرأ بسورتين ، وقد نهيتها .

فقال لها رسول الله ﷺ : « **لو كانت سورة واحدة ، لكفت الناس** ».

قال : وأما قولها : يفطرني إذا صمت – فإنها تنطلق تصوم ، وأنا رجل شاب ؛ فلا أصبر!.

فقال رسول الله ﷺ : « **لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها!** » .

وأما قولها : إني لا أصلي حتى تطلع الشمس ! فإنَّا أهل بيت قد عرفت عنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس. قال ﷺ : « **فإذا استيقظت يا صفوان فصلّ!** »[2] .

[رواه أبو داود ، وابن ماجة ، وهو حديث صحيح] .

- تشاركه حلو الحياة ومرّها :

المرأة المخلصة هي التي لا تتخلى عن زوجها في الأزمات ، فكما تعيش معه أيام الرخاء تعيش معه أيضًا أيام الشدائد دون تذمر أو سخط . فليست الحياة تسير على وتيرة واحدة

---

(١) تضع الخضاب والحنّاء في يدها وأناملها .

(٢) جاء في « عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعلاّمة أبي الطيب آبادي ٧ : ١٣٠ ، عند تفسير هذا الحديث ما نصه: « . . . (فإنا أهل بيت) أي إنا أهل صنعة لا تنام الليل ، (قد عرف لنا ذلك) أي عادتنا ذلك وهي أنهم كانوا يسقون الماء طول الليالي، (لا نكاد تستيقظ) أي إذا رقدنا آخر الليل ، (قال : إذا استيقظت فصل) ذلك أمر عجيب من لطف الله سبحانه بعباده ومن لطف نبيه ﷺ ورفقةً بأمته، ويشبه أن يكون ذلك منه على معنى ملكة الطبع واستيلاء العادة فصار كالشيء المعجوز عنه، وكان صاحبه في ذلك بمنزلة من يغمي عليه، فعذر فيه ولم يثرب عليه . ويحتمل أن يكون ذلك إنما كان يصيبه في بعض الأوقات دون بعض..» .

دائمًا .. وتلك سُنَّة الله في عباده .

ومن الطرائف التي تُروى في هذا الصدد ، ما يذكره الأصمعي عندما قال : أصابت الأعراب مجاعة، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق ، وهو يقول :

يــارب إنــي قــاعــد كــمــا تــرى ... وزوجــتــي قــاعــدة كــمــا تــرى

والــبــطــن مــنــي جــائــع كــمــا تــرى ... فــمــا تــرى يــا ربــنــا فــيــمــا تــرى؟!

- توافق رغبات زوجها ولا تخالفه إلى ما يكره :

لكل رجل أشياء يحبها ، وأخرى يكرهها ولا يستسيغها.. والمرأة الصالحة هي التي تتوافق مع زوجها في عاداته غير السيئة ، وتحرص على تحقيق رغباته المشروعة، ثم تتجنب الأمور التي يكرهها .

ولعل هذه الصفة هي أفعل الصفات في نفس الرجل وعقله من أي صفة أخرى؛ فالجمال يزول مع الأيام ، والمال إن كانت غنية عرضة للزوال في أي لحظة، وهكذا سائر الصفات.. أما موافقة روح المرأة لروح الرجل، وتلاقي رغباتها مع رغباته، وانسجام عاداتها مع عاداته، فهذا هو ما يبقى للمرأة ، وهذا هو ما يُبقي الرجل!.

يؤكد هذا المعنى سليمان الحكيم ، فيقول : « الجمال كاذب، والحُسْنَ مُخْلِف، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة » .

ويرى صعصعة بن صوحان - أحد كبار الخبراء والمشاهير في معربة أنساب العرب - أن صفة الصفات في المرأة المثالية هي موافقتها للرجل وانسجامها معه.. فقد قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة : « أيُّ النساء أشهى إليك؟ قال : المواتية لك فيما تهوى . قال : فأيهن أبغض إليك ؟ قال : أبعدهن مما ترضى . قال : هذا النقد العاجل ! فقال صعصعة : بالميزان العادل ! » .

ولكن هناك من الرجال من اعتبر تلك الصفة مجرد صفة لا بد من توافرها مع عدة صفات أخرى، فهو إن لم يكن يعتبرها صفة الصفات إلا أنه يعتبرها صفة من الصفات الضرورية المتعادلة في الأهمية .. فقد كتب الحجاج إلى ابن القرية : فيما يرويه ابن عبد ربه في العقد الفريد: « أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب، شريفة في قومها ، ذليلة في نفسها ، مواتية لبعلها . فكتب إليه : قد أصبتُها لولا عظم ثدييها ! . فكتب إليه : لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها؛ فتدفئ الضجيع ، وتروي الرضيع ».

ولا شك أن الرجل الذي يقع في امرأة من هذا القبيل ، ينال نصف الدنيا إن لم يكن معظمها.

ومن هؤلاء المحظوظين شريح القاضي الشهير ، فقد قابل الشعبي يومًا ، فسأله الشعبي عن

حاله في بيته ، فقال :

« من عشرين عامًا لم أر ما يغضبني من أهلي . قال له : وكيف ذاك ؟.

قال شريح : من أول ليلة دخلت على امرأتي ، رأيت فيها حسنًا فاتنًا ، وجمالًا نادرًا .. قلت في نفسي : فلأتطهر وأصلي ركعتين شكرًا لله .

فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي .

فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء ، قمت إليها فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية ، كما أنت .

ثم قالت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه ، وما تكره فأتركه .

وقالت : إنه كان لك في قومك مَنْ تتزوجه من نسائكم ، وفي قومي من الرجال مَنْ هو كفء لي ، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولًا ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك !! .

قال شريح : فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخُطبة في ذلك الموضع !.

فقلت : أحمد الله وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وسلم ، وبعد :

فإنك قلت كلامًا إن ثَبَتِّ عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة عليك .. أحب كذا وكذا.. وأكره كذا وكذا.. وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها!.

فقالت : كيف محبتك لزيارة أهلي ؟.

قلت : ما أحب أن يملني أصهاري .

فقالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك ، فآذن له .. ومن تكره ، فأكره؟. قلت: بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولا (عاما) لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بفلانة في البيت .

قلت : من هي ؟ قالت : ختنك .. [أي أم زوجتك]

[وكنت لم أرها عند خطبتي لزوجتي]

فالتفتت إليّ وسألتني : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة .

قالت : يا أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالًا منها إلا في حالين : إذا ولدت غلامًا ، أو حظيت عند زوجها؛ فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شرًا من المرأة المدللة.. فأدّب ما شئت

أن تؤدب، وهذّب ما شئت أن تهذب .

قال شريح : فمكثت معي عشرين عامًا لم أعتب عليها في شيء إلا مرة وكنت لها ظالمًا!!! » .

وإذا كانت موافقة المرأة للرجل وتوافقها معه ، أكثر العوامل فاعلية في استمرار انجذاب الرجل نحو المرأة ودوام العلاقة بينهما. فإن مخالفتها له تؤدي إلى كراهيته المتزايدة لها، وتعمل على تصديع ما بينهما من رباط وميثاق.

ولنا في التاريخ عبرة ، حيث يقول الأصمعي : « كنت أختلف إلى[١] أعرابي أقتبس منه الغريب[٢] ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أمامة ، إيذني لي . فتقول : ادخل .

فاستأذنت عليه مرارًا ، فلم أسمعه يذكر أمامة .

فقلت له : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين ؟.

قال : فوجم[٣] وجمة .. ندمت على ما كان مني .. ثم قال :

ظعنت أمامة بالطلاق	ونجوتُ من غُلِّ الوَثاق[٤]
بانت فلم يألم لها قلـ	ـبي ولم تدمع مآقي[٥]
ودواء ما لا تشـ	ـتهيه النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس بطيب بـ	ـين اثنين في غير اتفاق
لو لم أُرِحْ بفراقها	لأرحت نفسي بالإباق[٦]

- تجيد فن الحديث :

المحادثة الودية ضرورية لخلق علاقة عاطفية مع من نحب . وحتى تستمر المحادثة ممتعةً لسنوات عديدة يحتاج الزوجان إلى مواضيع جديدة ليتحدثا بشأنها .

وفي ضوء هذا ، فإن المرأة المثالية تجيد فن الحديث الودي ، ويكون لديها القدرة على إثارة موضوعات جديدة تتحدث فيها مع الزوج .. طبعًا ليست هذه الموضوعات مما قد يؤدي إلى النكد ، أو إلى تعميق هوة الخلاف .

---

(١) أختلف إليه : أزوره بين وقت وآخر .

(٢) أي يقتبس غريب اللغة ، فقد كان الأصمعي أحد الأوائل الذين اعتنوا بتدوين لغة الأعراب بمختلف لهجاتها. ولولاه لاندرس كثير منها .

(٣) وجم : سكت عن الكلام من شدة الحزن .

(٤) ظعن : سار ورحل ، والظعينة ، المرأة ما دامت في الهودج . والغُل : القيد في الرقبة .

(٥) بانت : طلقت أو بعدت . والمآقي : مفردها موق ، وهي طرف العين مما يلي الأنف .

(٦) الإباق : الهرب .

- تُعَبّر عن مشاعرها وتعطي لزوجها فرصة التعبير عن مشاعره :

والمحادثة الودية لا تعني فقط المشاركة بالمعلومات ووجهات النظر، بل والتعبير عن العواطف والمشاعر أيضًا ، فإذا شاركت المرأة مثلًا في نشاط اجتماعي أو أي عمل آخر، فلا تقصر حديثها إليه في مجرد ما جرى معها خلال اليوم، بل تتجاوز ذلك إلى الحديث عن مشاعرها تجاه ذلك النشاط وتجاه الذين شاركوها أو شاركتهم فيه .

كما أنها تعطي الفرصة كاملة لزوجها للتغبير عن مشاعره وأحاسيسه. وإن كان ممن لا يفضلون ذلك؛ لأنه قد يظن خاطئًا أنه ليس من الرجولة أن يظهر الزوج عواطفه ووجداناته أمام زوجته، فإنها تحاول أن تغير من موقفه هذا بأساليب متعددة؛ لأن إفضاء الرجل إلى المرأة بمشاعره من الأشياء التي تعمق التوافق والارتباط بينهما.

ومن تلك الأساليب التي تتبعها المرأة في هذا الصدد : أن تجيد الإصغاء إلى رجلها، فإذا اشتكى من يوم عملٍ شاقٍ مثلًا ، تدعه يتابع بث ما في قلبه من هموم وأوجاع، دون أن تُعرض عنه أو تقاطعه إلا بما يظهر اهتمامها به وبحديثه، كأن تسأله عما جعله يشعر بأن العمل صعب، وهل انزعج من رئيسه لسبب بعينه. وأهم من هذا أن تشعره بأنها تهتم بهمومه، وتشعر بمشاعره، وتتأثر بأوجاعه. ثم تتجنب أنِ تنقده نقدًا هدّاما يزيد من شعوره بالإحباط، وتقدّم له وجهات نظرها في موضوعية كاملة ، بما يوقفه على حقيقة الأمر ، وبما يعينه على استئناف عمله بشكل أفضل .

وبعد ذلك لا تحاول المرأة أن تستغل إفضاءات زوجها إليها ، عندما تختلف معه؛ لأن مما يجعل معظم الرجال يضعون حواجز نفسية بينهم وبين نسائهم، فيحجمون عن الإفضاء إليهن بمشاعرهم وأفكارهم وأسرارهم – أنهم يشعرون أن حديثهم قد يُستغل ضدهم فيما بعد.

- ترضى بما يقسم الله لها :

والمرأة المثالية هي التي ترضى بما قسم الله تعالى لها ، فلا تسخط على زوجها إن كان أدنى منها في الجمال ، ولا تتفاخر عليه . كما أنها ترضى بإمكانات الزوج سواء في الرخاء أو الشدة، فليست الأيام كلها على حالٍ واحدة .

ومما يلفت النظر في شأن النساء المتصفات بالصفة الأولى ما رواه الأصمعي ، قال : « دخلت البادية، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهًا تحت رجل من أقبح الناس وجهًا!!. فقلت لها : يا هذه ، أترضين لنفسك أن تكون تحت مثله؟!.

فقالت : يا هذا ، اسكت ؛ فقد أسأت في قولك ؛ لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه،

فجعلني ثوابه، أو لعلني أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي؛ أفلا أرضى بما رضي الله لي ؟ فأسكتتني!! » .

ويروي ابن عبد ربه في العقد الفريد : « أن عمران بن حطان نظر إلى امرأته، وكانت من أجمل النساء ، وكان من أقبح الرجال، فقال : « إني وإياك في الجنة إن شاء الله! قالت له: كيف ذاك؟ قال : إني أعطيت مثلك فشكرت، وأعطيت مثلي فصبرتِ! »».

أما الصفة الثانية : وهي الرضى بإمكانات الزوج فقد اعتبرها أحد الحكماء صفة الصفات في المرأة المثالية بالنسبة للرجل .. فقد روى عن أبي معشر أنه قال : « حلف رجل ألاَّ يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء .. فاستشار تسعة وتسعين نفسًا وبقي واحد .

فخرج يسأل أيًّا من لقيه ، فرأى رجلًا مجنونًا قد اتخذ قلادة من عظم ، وسوّد وجهه، وركب قصبة كالفرس[1] ..

فسلَّمَ عليه ، وقال له : لي مسألة .

فقال : سَلْ عما يعنيك وإياك وما لا يعنيك !.

قال : فقلت له : إنني رجل لقيت من النساء بلاء ، وآليت على نفسي أن لا أتزوج حتى أسأل مائة رجل ، وإنك تمام المائة ، فماذا تقول ؟.

فقال : اعلم أن النساء ثلاثة : واحدة لك .. وواحدة عليك .. وواحدة لا لك ولا عليك ..

فأما التي لك : فشابة ظريفة لم تمسها الرجال ، إن رأت خيرًا حمدت، وإن رأت شرًا قالت : كل الرجال كذا .

وأما التي عليك : فامرأة لها ولد من غيرك ، فهي تسلخ الرجل وتجمع لولدها .

وأما التي لا لك ولا عليك : فامرأة قد تزوجت بغيرك قبلك ، فإن رأت خيرًا قالت: هذا ما يجب، وإن رأت شرًّا حنّت إلى زوجها الأول .

فقلت : أنشدك الله ما الذي صيَّر من أمرك ما أرى ؟.

قال لي : أما شرطت عليك أن لا تسأل عمّا لا يعنيك ؟!.

---

(١) يقال إن ذلك الرجل هو يزيد بن ثروان الملقب بـ « هبنقة» ، يضرب به المثل في الحمق ؛ لأنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته، فسُئل فقال : لئلا أضل! فسرقها أخوه في ليلة وتقلدها، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه، فقال : أخي أنت أنا فمن أنا؟ فضرب به المثل في الحمق! انظر تعليقات الأستاذ الكبير / محمد إبراهيم سليم ، على : طبائع النساء من العقد الفريد لابن عبد ربه .. ص ٧٢ ، طبعة مكتبة القرآن .

فأقسمت عليه أن يخبرني ..

فقال : إني طُلبت للقضاء ، فاخترت ما ترى على توليه . ثم انصرف وتركني ».

فهذه وجهة نظر خبير ، بيد أنها ليست قاعدة ثابتة ينبغي التعويل إليها في كل الأحوال؛ حيث أن لها شواذَّ .

وكل ما يعنينا منها هو أن المرأة المثالية في عين ذلك الرجل هي التي تكون « مع الزوج » لا ضده.. والتي تكون « معه » لا مع ذكرياتها.. وبالتالي فهي ترضى بما قسم الله لها: إن رأت خيرًا حمدت، وإن رأت شرًا قالت : كل الرجال كذا .

- غير مُفرطة في الغِيرة :

المرأة التي لا همَّ لها سوى تعقب حركات زوجها ، وتتبع أخباره ، والتشكك في كل تصرفاته، والغيرة من معارفه وأصدقائه - لا ريب أنها حمقاء تنفصم بأفعالها تلك عرى المحبة والثقة بينها وبين زوجها .

ومن ثمَّ فإن الرجال الخبراء بفن العلاقات الزوجية كثيرًا ما يحذرون المرأة من الإفراط في الغيرة؛ فيقول أحدهم وهو أبو الأسود لابنته قبل زواجها : « إياكِ والغِيرة ، فإنها مفتاح الطلاق » .

ويجدر بالمرأة لو فقدت أعصابها لأي سبب من الأسباب ، فغارت غيرة في غير موضعها، أن تعترف بخطئها، وتصلح ما أفسدته، والأهم من كل هذا أن لا تكرر خطأها مرة أخرى. ومن الطرائف التي يرويها المحدثون ما جاء عن أنس قال: أهدى بعض نساء النبي ﷺ له قصعة فيها ثريد، وهو في بيت بعض نسائه، فضربت عائشة يد الخادم فانكسرت القصعة، فجعل النبي ﷺ يأخذ الثريد ويرده في القصعة ويقول : « **كلوا؟ غارت[1] أمكم!!** » .

. وفي رواية أخرى أخرجها أبو داود والنسائي أن السيدة عائشة ندمت على ذلك، وقالت: يا رسول الله ، ما كفَّارة ما صنعت؟ قال : « **إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام** » .

- ليست متكبرة :

فالرجال أشد ما يكرهون المرأة المتكبرة ، بل وينفرون منها .. وكم من النساء قد قتلهن الكبرياء، فعشن ومتن بلا زواج يحقق لهن الاستقرار الأسري نتيجة لغطرستهن وغرورهن.

أما المرأة المتواضعة المتبسطة في غير تساهل ، فإن الرجال يتطلعون إليها ويحبونها .

---

(١) من الغيرة ، وليس دعاء على أمهم ! .

- تتحدث بنعمة ربها .. أو على الأقل لا تنكرها :

هناك من النساء من أنعم الله تعالى عليهن برجال أغنياء كرماء ، يعشن معهم في رفاهية ورخاء، ولكن على رغم ذلك لا تنفك إحداهن تشكو من قلة ذات اليد ومن شظف الحياة، لا لشيء إلاّ لتبعد عين الحسد عنها، وتتمتع في الوقت نفسه بلذة اهتمام الناس بها وإشفاقهم عليها !

في حين أن المرأة المثالية لا ينتابها مثل ذلك النقص الجاهل، حيث تتحدث بنعمة ربها عليها، وإن لم تتحدث فهي على الأقل لا تنكر تلك النعمة .

- ليست امرأة لعوبًا[1] :

شتان بين المرأة المثالية والمرأة اللعوب .. فالأولى في وادٍ ، والثانية في وادٍ آخر.. الأولى أجمل ما في الحياة.. والثانية أخطر ما في الحياة.. وكل صفة تتصف بها المرأة اللعوب ليس للمرأة المثالية أدنى علاقة بها.. فهي على النقيض..

فالمرأة اللعوب تملك خيالًا دائب التوثب، وأعصابًا دائمة الاتقاد، وحواسَّ دائمة التنبه والتيقظ.. متأججة بحب المرح والحياة.. إنها تحب مهازل الحب وفواجعه، أكثر مما تحب الحب نفسه !!.

ولا يكفيها التعرف برجل واحد ، بل إن الإخلاص لرجل واحد لا يروقها، والولاء لرجل واحد لا يرضي خيالها ولا يشعرها بلذة الحياة !.

إنها تود أن تكون محبوبة ، مرغوبة ، من الجميع .. وهي تبذل أقصى جهد لكي تكون كذلك بشرط أن لا تفقد سلطانها على نفسها ، وسيطرتها على تصرفاتها، وقدرتها على العبث بقلب من يحبها !.

إن الغاية عندها أن تمني عاشقها طويلًا .. ثم لا تعطيه إلا بقدر.. وأن ترهقه وتقلقه كثيرًا ثم لا تطمئنه إلا لتعود فتتنكر له.. وأن تعذبه طويلًا على أن لا تهبه نعمة السعادة الكاملة أبدًا!.

والواقع أن لذة الحب عندها لا تنبع من لذة التآلف والتفاهم والمشاركة ، بل من رغبة المحاورة والمداورة والشماتة والتعذيب !.

وهي تنشد لذة التعذيب في الحب ، وهذه اللذة تغري بعض الرجال بها ، وتضاعف

---

(١) نعود فنؤكد مرة أخرى على أننا إذ نتحدث عن المرأة اللعوب والمرأة الخائنة ، وغيرهما من الأصناف المنحرفة فإننا لا نخرج بذلك عن المنهج القرآني ؛ فالقرآن قد تحدث عن كيد بعض النساء وانحرافهن في غير موضع، لا سيما في سورة يوسف .

رغبتهم فيها . وتدفع الأقوياء منهم إلى محاولة إخضاعها، والضعفاء إلى الهوس والجنون بها.

إنها تتعمد إثارة الغيرة في قلب رجلها بشتى الفنون ؛ فتقبل عليه كالحمل ، ثم تروغ منه كالثعلب ! تتصل به كالظل ثم تتبدد أمامه كالحلم! فتثور ثائرة الرجل ويزداد بها تعلقًا حتى يغلبها أو تغلبه، على أنه لو تمكن منها فهي لا يمكن أن تحبه حبًا خالصًا مطلقًا على رغم أنها قد أعجبت بقوته وسلّمت لرجولته؛ فهي لا تستطيع أن تعيش بلا إثارة، ولا يمكنها أن تشعر بحلاوة الحياة إلا بتحدي الحياة ومحاولة إيقاع أكبر عدد من الرجال !.

وبديهي أن الذين يميلون إلى هذه النوعية غير المثالية من النساء هم نوعية خاصة من الرجال غير الحكماء ؛ فالرجل الحكيم القوي لا يحب المرأة اللعوب ، وإن وجد نفسه بدأت تتوق إليها فهو يستطيع كبح جماح تلك النفس والسيطرة عليها ؛ لأنه يعلم أن عواقب العلاقة بمثل تلك المرأة ضررها أكبر من نفعها في معظم الأحيان؛ فالذي يحب المرأة اللعوب لا يعرف أبدًا طعم الراحة، وعليه أن يكون دائم التنبه، دائب التحفز والتأهب للكفاح إذا أراد أن يظل متمكنًا منها. أما إذا تهاون في التشبث بها أو تخاذل في فرض سلطانه عليها ، فمما لا ريب فيه أنها ستخدعه وتخونه جزاء له لأنه لم يعرف كيف يقتلع أنيابها! .

- تعطي قبل أن تأخذ :

إن الشركة في كل شيء ، ولا سيما في الحياة الزوجية ، تعني العطاء قبل الأخذ . ومن هنا فإن المرأة الذكية هي التي لا تجعل شعار حياتها الأخذ باستمرار دون عطاء. ويروي لنا أحد علماء الاجتماع أن زوجًا شكا إليه من أنه لا يعود في المساء إلى منزله منهوك القوى بعد عمل يوم طويل، إلا ويجد زوجته ضيقة الصدر؛ معتكرة المزاج، مقيمة بانتظار وصوله ليخرج بها من المنزل ويوفر لها أسباب التسلية والترويح عن النفس . فهي تتوقع دائمًا منه أن يعطيها كل شيء ، ويوفر لها كل شيء دون أن تكبد نفسها مشقة إعطائه ما يحتاجه من راحة وسكينة في بيته .

وثمة سيدة أخرى تصر على المشاركة في جميع المناسبات الاجتماعية ، وزيارة الأهل والأصدقاء برفقة زوجها ، فلا تترك له لحظة من راحة ؛ وإذا رفض مرة أو قاوم ، تروح تشكو وتتذمر .

أما المرأة المثالية فهي عكس هذه وتلك ، حيث تدرك تمامًا ما يلقاه زوجها من مشقة أثناء تواجده خارج المنزل ؛ ولذا فهي تخلق في بيتها أسبابًا مختلفة من الاهتمامات التي تخفف عن الزوج أعباء الحياة ساعة يؤوب إلى منزله .

- تتجنب التوافـه :

كم هن كثيرات أولئك النساء اللاتي يولعن بالتوافه من الأمور ، ولكن أيضًا يوجد كثير من النساء اللاتي عودتهن ظروف الحياة تجنب تلك التوافه ؛ فالتجربة تشير إلى أن معظم الخلافات الكبيرة كانت في مبتدأ أمرها خلافات حول أشياء تافهة ، ثم تصبح بمرور الزمن عقدة نفسية لدى أحد الطرفين ، ثم تتطور إلى الطلاق .

والمرأة المثالية هي التي تدرك ببصيرتها هذه الحقيقة فلا تثير جدلًا مع زوجها حول أي أمر لا يؤدي وجوده أو عدمه إلى تأثير محوري في مجرى حياتها، فلا تتنازع معه على نوعية طعام، أو على تسمية الأولاد، أو على شراء ثوب ..

- لست امرأة مترددة :

عندما تفقد المرأة وضوح الرؤية ، ويضيع من أمام عينيها الهدف ، وتصاب بالمشاعر المتناقضة، فإنها تصبح امرأة مترددة، فتتخبط فيما تفعل ، وتجبن عن الإقدام على أي شيء.

وشيئًا فشيئًا يتأثر بها كل من حولها ، وإن لم تكن مصدر وبال عليهم ، فإنها تمثل مصدر قلق بالنسبة لهم .

وعلى الطرف النقيض لهذه تتربع المرأة المثالية ، فهي واثقة بنفسها دون غرور أو تعالٍ ، كما أنها تعرف حدود الأشياء وحقيقتها ، فتقدم على الفعل المناسب أو تقول الكلام المناسب ، دون خوف أو تردد أو تخبط .

- ليست لوّامـة :

والمرأة المثالية ليست امرأة لوّامة، فلا تعتاد لوم زوجها إذا أخطأ في شيء أو قصّر أو فشل، بل هي تقدم له العون اللازم والكلمة الطيبة عندما يخونه الحظ أو يحالفه الفشل.

يروي أحد الأطباء النفسيين : « حدثني زوج مُطَلِّق ، فقال : هل تعرف ما الذي هدم سعادتنا الزوجية وصار بنا إلى الإفتراق؟.

إنه إصرار زوجتي على إلقاء اللوم كل اللوم على كاهلي عندما أفشل في عمل أو أصاب بخسارة . ولقد بلغ بها الأمر حد لومي عندما أصبت بالرشح! وكذلك اتهمتني بأني كنت السبب في انتقال العدوى إليها! » .؟

هذه حال المرأة اللوّامة ، أما الأخرى التي يتطلع إليها كل رجل، فهي التي تجعل همها الأول إشعار زوجها بأنه محبوب ، فإذا أخطأ التمست له عذرًا ، وإذا فشل أخذت بيده وطيّبت قلبه. وبهذه الوسيلة تستطيع المرأة الذكية مجابهة معظم العواصف التي لا تسلم منها أسعد العلاقات الزوجية وأكثرها انسجامًا وتفاهمًا .

- **وفية بعهدها :**

يرى بعض الرجال أن الوفاء والأمان ليسا من طبع المرأة عمومًا ؛ فمن عهدها - كما يقول المتنبي - ألا يدوم لها عهد !.

ويذهب ذلك المذهب في النساء شاعر آخر ، فيقول :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن ... جزوعًا إذا بانت فسوف تبين[1]

وصنها وإن كانت تفي لك ، إنها ... على مدد الأيام سوف تخون

وإن هي أعطتك الليان فإنها ... لآخر من طلابها ستلين

وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها ... فليس لمخضوب البنان[2] يمين

وإن أسبلت يوم الفراق دموعها ... فليس - لعمرُ الله - ذاك يقين

ويؤكد الهيثم بن عدي تلك الصفة في النساء ، فيحكي لنا واقعة تبرهن فيما يظن برهنة قاطعة على رأيه ، فيقول :

« غزا الغساني الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فلم يصبه في منزله ، فأخذ ما وجد له ، واستاق امرأته .. فلما أصابها أعجبت به ، فقالت له : انج ، فوالله لكأني أنظر إليه يتبعك فاغرًا فاه، كأنه بعير آكل مُرار !. وبلغ الحارث ، فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، وأخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟.

قالت : نعم .. والله ما اشتملت النساء على مثله قط !.

فأمر بها ، فأوقفت بين فرسين ، ثم استنفرهما حتى تقطعت .. ثم قال :

كل أنثى وإن بدا لك منها ... آيةُ الودِّ حبُّها خيثعُورُ[3]

إن من غرّه النساء بوُدٍّ ... بعد هند لجاهلٌ مغرور

كما ينحو هذا المنحى أبو عمرو بن العلاء وعبدة بن الطبيب ؛ إذ يقول الأول معجبًا بحكمة الثاني :

أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطبيب ؛ حيث يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... عليم بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قَلّ ماله ... فليس له في وُدّهنّ نصيب

يردن ثراء المرء حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

---

(١) البين : البُعد والفراق . (٢) مخضوب البنان : كناية عن المرأة ؛ إذ أنها تخضب أصابعها بالخضاب والحناء.

(٣) حبُّها خيثعور : أي غير دائم .

تلك وجهة نظر بعض الرجال في النساء ، ولا شك أن هناك كثيرين يتابعونهم فيما يذهبون إليه .

ولكن إذا حاول المرء أن يكون أكثر موضوعية فسيجد أن تلك الوجهة من النظر صحيحة من جهة، وخاطئة من جهة أخرى؛ أما خطؤها فيكمن في التعميم، أي تعميم الحكم على جميع النساء ، فبطبيعة الحال هناك كثيرات يؤتمن ويتمتعن بالوفاء والإخلاص، ولكن أيضًا توجد كثيرات لا يتميزن بهذه الصفات ، ولذا ينطبق عليهن الأحكام السالفة. فالأمر هنا أمر نسبة ، فإذا كان حُكم تلك الأحكام حُكمًا عامًا كليًا فهو خطأ ، ولكنها إذا أُخذت في نطاق جزئي بحيث تنطبق على نوع واحد من أنواع النساء فهي أحكام صائبة .

ومهما يكن من أمر ، فإن استطرادنا ذلك في تقييم أقوال هؤلاء الرجال ، تأكيد على وجود كثير من النساء يتَّسمن بالوفاء والإخلاص بصرف النظر عن المتغيرات الاقتصادية أو الطبيعية التي تطرأ على حال الزوج .

فصفة الوفاء صفة ممكنة وواقعية تتصف بها كل امرأة مثالية في أعين معظم الرجال .

- تحترم رغباته وذوقه :

لا تتوطد علاقة بين رجل وامرأة حتى يحترم كل منهما رغبات الآخر وأذواقه .

وإنه لمن السخف أن نتصور أن اثنين يمكن أن يتشابها تمام الشبه في الأفكار، والآراء، والرغبات. فذلك أمر غير متيسر وغير مستحب في آن واحد.

فالتقارب في تلك الأمور شيء ضروري ، أما التشابه التام فلا .. وشتان بين التقارب والتشابه التام . وإذا كان التشابه التام صعبًا وغير مرغوب فيه ، فينبغي على المرأة – وأيضًا الرجل – أن تحترم رغبات زوجها وأذواقه . وليس هذا شيئًا متعذرًا على أي امرأة مثالية .

- لا تترك أولادها للخدم أو للشارع :

وهي تربي أولادها بنفسها ، ولا تتركهم للخدم أو للشارع أو ليدِ غير يدها؛ لأنها تعلم أن هذا جزء من مهمتها في بناء المجتمع ؛ فالرسول ﷺ يقول : « **المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها** » . [رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر] .

ورحم الله شاعر النيل إذ يقول :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق

فالأم المثالية هي القادرة دون غيرها على تربية أبنائها تربية جسدية وعقلية ونفسية مستقيمة، وهي التي تستطيع أن تفي بحاجاتهم الوجدانية التي لا يمكن إشباعها إلا في جو تحيطه هي

بحنانها وعطفها؛ لأن المحاضن الجماعية الحكومية بوسائلها وإمكاناتها الكبيرة تستطيع أن ترعى الأطفال من الناحية الجسدية رعاية علمية تمامًا ، لكنها لا تستطيع أن تفي بحاجاتهم النفسية ، التي لا يمكن إشباعها إلا في الجو الأسري ، الذي يتوفر فيه للطفل أبوان يشعر بأنه يمتلكهما تمامًا ، أما في الحضانة فلا يمكن له هذا بأي حال من الأحوال؛ حيث يشترك عدد غير قليل من الأطفال في أم واحدة . وهذا ينشأ عنه ضرر مزدوج يلحق بالطفل من جانب وبأبويه من جانب آخر : أما الطفل فسينشأ عنده نوع من الخلل النفسي، يترتب عليه اضطرابات عاطفية لها أبعد الأثر في تكوين شخصيته المستقبلة. وأما الأبوان فستنزع منهما عواطف الأبوة والأمومة ، مما يجعل علاقتهما بعضهما ببعض تقتصر على حد الشهوة والجسد .

- ليست روتينية في حياتها :

تَعْلم المرأة بحسها المرهف ، وتجربتها الحيّة ، أن القوالب الحياتية الرتيبة تقتل البهجة، بل تدمر الحياة نفسها ؛ حيث تصبح حياة « آلة » لا حياة « إنسان » . ومن هنا فهي تحاول أن تنوع في أنماط سلوكها مع الزوج وتغيّر باستمرار من برنامجها اليومي كل فترة؛ فالتنويع والتغيير لهما أكبر الأثر في استدامة البهجة والإحساس العميق بحركة الحياة .

- امرأة متجددة :

وعدم الروتينية ليسَ مطلوبا فقط في السلوك مع الزوج وفي البرنامج اليومي ، بل أيضًا في شكل المرأة؛ عن طريق التنويع في الزينة ، وتسريحة الشعر ، وموديلات الملابس، في إطار بيت الزوجية ، لا في الشارع والمنتديات . فالمرأة المثالية بحق هي المرأة « المتجددة » باستمرار .

- لا تحب إلا رجلاً واحدًا :

نعم .. إنها امرأة متوحدة الهدف ، متوحدة الاتجاه ، وهذه طبيعة كل امرأة سويّة ..

ولكن عندما تُصاب المرأة بشذوذ نفسي ، فهي لا تكتفي بواحد، وإنما تتطلع إلى اثنين. وقد يستغرب البعض أن من الأسباب التي تدفع أمثال تلك المرأة إلى هذا النوع من الانحراف، هو عدم تجاوبهن العاطفي أو الجنسي مع الزوج.. فهي تحاول أن تغطي تحجرها أو برودها العاطفي بالإكثار من العلاقات العاطفية. وطبعًا تكتشف بعد فوات الأوان أن كثرة العلاقات العاطفية لم ترمم فجوة الصقيع العاطفي المصابة بها؛ لأن العلاقة الكاملة لا تتحقق بكثرة الاتصالات ، بل بنوعيتها، والعلاقة الناقصة الواحدة لا تختلف عن ألف اتصال ناقص .

ولكن لنعد إلى امرأتنا المثالية ، تلك تدرك أن عدم التجاوب العاطفي أو الجنسي عيبٌ يعاقب عليه القانون الزوجي . ولهذا فهي عندما تشعر أنها مصابة بالبرود ، فإنها تحارب برودها بشتى الطرق وبمختلف الأساليب حتى تزيح جبال الجليد التي بينها وبين زوجها .

- تُحسن الاستماع إلى زوجها :

تتمتع المرأة المثالية بآذان واعية حساسة ، تحسن بها الاستماع إلى زوجها ، وتشعره بقسمات وجهها ووضع جسمها أنها مهتمة بما يقول .. فإن لم يلق الرجل إلى امرأته بما يجيش داخله من أفكار وهموم ومشاعر ، فإلى من يتوجه ؟.

يروي أحد المهندسين أنه تزوج من فتاة لا تعرف عن الهندسة إلا كما يعرف الطفل عن نظرية النسبية ، فقال : « إنني أستطيع أن أحدثها بالمشكلات الفنية العويصة التي تصادفني في عملي، فيبدو عليها كما لو كانت تدركها وتفهمها حق الفهم بوحي من إلهامها! إنني أعتبر ذهابي إلى المنزل متعة ؛ لثقتي بأنني سأجد هناك من يتفهمني ويستمع إليّ استماعًا واعيًا عطوفًا » .

- ليست متداعية على الرجل ومتابعة له كظله :

فالمرأة المثالية تتمتع بذكاء خاص يتيح لها أن تفهم أن ملاحقة الرجل ، والتداعي المستمر عليه ، يقضي على شوق الرجل الداخلي نحوها؛ لأنها إن فعلت ذلك فماذا يبقى له أن يفعل؟ وما هو المجهود الذي سيبذله للوصول إليها؟ وما هي الفرصة التي تركتها له لكي يطلبها ؟.

وبالتأكيد فإن المرء لا يطلب من المرأة أن تتمنع تمنع الحصن ، ولكن يبغي منها أن تكون متوازنة ليست متداعية متهالكة تتابعه كظله ، وأيضًا ليست متمنعة صعبة .

وعلى سبيل المثال ، فهي عندما تشعر أن لديه رغبة في أن يخلو لنفسه ، تتيح له الفرصة لذلك بغير تدخل منها، فكثيرًا ما يشعر الإنسان بالرغبة في الوحدة ولو لبعض الوقت. يقول شاب أعزب اجتمعت له كل مؤهلات الزواج عندما سأله البعض. لِمَ لَمْ تتزوج؟ قال : إنه سيتزوج في لمح البصر متى وجد الزوجة التي تمنحه الرفقة الطيبة، وتحترم في الوقت نفسه حقه الطبيعي في أن يخلو لنفسه كلما استشعر في ذلك رغبة .

وقد يكون من العسير على بعض النساء أن يتصورن كيف يرغب الرجل في الوحدة أحيانًا!.

ولكن سرعان ما سيزول سوء الفهم هذا ، إذا ما علمت المرأة أن رغبة الرجل في الاختلاء بنفسه ليس معناها أنه يريد الوحدة حقًا أو أنه « زهقان » منها ، وإنما معناها أنه يريد أن

يستشعر ولو لفترة موقوتة، التجرد من قيود العالم الخارجي وضغوطه، ومنها طبعًا قيود المرأة وضغوطها؛ حتى يحس بذاتيته، ويمكن أن يستجمع قواه النفسية والعقلية بعيدًا عن أي تأثير خارجي .

ومهما يكن التفسير السيكولوجي لطبيعة اللحظات التي ينفرد فيها الرجل بنفسه ، فإن المرأة المثالية هي التي تتوخى أن تتيح له الفرصة لكي يحقق ما يرغب فيه من وحدة لبعض الوقت . فهي ليست متداعية متهالكة متابعة له كظله .

- ليست امرأة لحوحًا :

وما أدراك ما المرأة اللحوح ؟

إنها امرأة ثقيلة ترمي بكل ثقلها على الرجل ، وتكتم أنفاسه ، وتضغط على أعصابه. فهي إذا طلبت شيئًا تصر عليه ، وتلح من أجل تحقيقه. وهي دائمة السؤال، ومعتادة الطلبات، ومولعة بالتأكيد والتكرار الممل على ما ترغب في الحصول عليه .

والمرأة المثالية ليست مثل هذه اللحوح ، فهي رقيقة في أسلوبها، تطلب الشيء مرة واحدة، ولا تلح أو تصر عليه، وإن كررت طلبها أو رغبتها فهذا فقط عندما تشعر أن رجلها نسي أو انشغل عنها .

- ليست نزّاعة للسيطرة :

قوامة الرجل أمر تقرّه طبيعة الأشياء وتوجيهات الشريعة ، ولذلك فإن المرأة المثالية تدرك تلك الحقيقة وترضى عنها داخليًا ، فهكذا سُنّة الله في مخلوقاته.

ولكن هناك صنف من النساء مريض بانحراف نفسي، ذلك الانحراف يجعله دائمًا نزّاعًا للسيطرة والتسلط .

وما أسوأ حظ الرجل الذي يقع في واحدة من أولئك النسوة : فهي إما أن تمحو شخصيته إذا كان ضعيفًا ..

وإما أن تدفعه إلى مواجهتها والثورة عليها إذا كان قويًا ..

وفي الحالة الأولى : تموت حياتها الوجدانية بموت شخصية زوجها، ويحيط بها الضجر والفراغ العاطفي .

وفي الحالة الثانية : تستهدف لصراع يومي يجعل من حياتها جحيمًا . وقد يدفع ذلك بزوجها القوي إلى الانتقام منها بالسعي إلى غيرها أو بطلاقها .

وفي كلتا الحالتين تتصدع حياتها، وينهدم بيتها على رأسها ورؤوس أبنائها؛ جزاء وفاقًا لانحرافها النفسي ، ولشذوذها عن منطق الأشياء .

ولذلك فإن الرجال لا يعتبرون المرأة صالحة حتى تتميز بعدم النزوع للسيطرة والتكبر، أو بعبارة أخرى : تتميز بالطاعة والتواضع . وقد سُئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهنّ، فعدَّد صفات المرأة المثالية ذاكرًا بينها صفة الطاعة وعدم التكبر ، فقال : « أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئًا جوّدت، التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها ، العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود ».

ففي هذا القول يورد الأعرابي سمة عدم النزوع للسيطرة عندما يقول : « التي تطيع زوجها » ، ويورد صفة التواضع وعدم التكبر عندما يقول : « الذليلة في نفسها » ؛ وليس المقصود بالعبارة الأخيرة ذلك المعنى السلبي لكلمة « الذل » ، وإنما المقصود المعنى الإيجابي لها.. أعني التواضع وعدم التكبر كما سبق الإشارة .

- منظمة .. ولكن ليس لدرجة الهوس !:

هناك حرب !! مستمرة ، عريقة في القِدَمِ ، تدخلها بعض النساء مع أزواجهن. أتدري ما هي هذه الحرب؟ إنها « حرب الجوارب » !!..

.. (إنه يترك جواربه ملقاة في كل مكان ! فهل يحسبني خادمة، عليها أن تفعل كل شيء؟) . ولكن .. كلا .. كلا ، فهؤلاء النساء إياهن يندفعن إلى الحرب ، ولكن العدو غير موجود حيث يعتقدن أنه موجود .

وبالطبع نحن نتحدث عن الرجال المهذبين ، ولا يعنينا أولئك الآخرين الذين - على الرغم من حبهم لزوجاتهم واحترامهم لهن - ينثرون جواربهم في زوايا البيت الأربع : (زوايا بيتي « أنا ») كما تقول المرأة .

ولكن لماذا ينسى رجل من هذا النوع تنظيم متعلقاته ؟.

إذا كان أحد ا لرجال نزّاعا ، بطبيعته ، نحو المستقبل ، نسى الآن ، وهذا أمر منطقي. وإذا فكّر في المستقبل سواء كان المستقبل مصنوعًا من أمور ثانوية أو من أفكار ينبغي تحقيقها - نسى أن يرتّب جواربه. وهو أمر منطقي أيضًا ؛ إنه شبيه شبهًا كبيرًا أو صغيرًا بغزاة الفضاء الذين ينسون تناول فطورهم وينسون حتى حياتهم .

ولا شك أن بعض الرجال مشتت فوضوي وأغلب النساء منظمات ، وتعد الواحدة منهن هي والنظام شيء واحد ، وترعبها الفوضى والأشياء التي يتأخر إنجازها، ولا ترى غير الجوارب التي تستخف بها جهارًا ! وعندئذ إنما تصيح المرأة - واتصافها بعاطفة الأمومة لا يزال باقيًا مع ذلك : « هؤلاء هم الرجال حقًا! » .

النظام .. هذا أمر حسن ، ولكن هوس النظام يترصدها ..

وعندئذ ترتّب بيتها ، دون انقطاع ، طيلة ثماني ساعات ؛ فترتّب خزائنها، ودروجها، وحساباتها ، ونقودها ، وحاجاتها الخاصة بها . وترتب العالم إلى خانات كما لو كانت السُلطة ممنوحة لها . ويصبح العالم مجموعة من النخاريب، منظمًا كل التنظيم، ولكنه من غير مستقبل .

وتصبح الحياة لدى المرأة ، التي تندثر شخصيتها تحت حاجتها إلى النظام مغاليةً في الإلحاح، ضربًا من التكفير عن الذنوب. وحياة الرجل كذلك ، الرجل الذي يهمل أدواته، ويحمل بقعة على سترته ، وينهض عن المائدة دون أن يفكّر في ترتيب الأطباق ، ويرى امرأته تلاحقه عند كل منعطف من منعطفات الرواق، ولكنه يستمر مع ذلك في ترك جواربه ملقاة في كل مكان .

وهكذا اعتمد عدد من المتحزبات لحقوق المرأة على الجوارب ، وعلى وقائع من هذا النمط، ليباشروا حربًا ، حرب المائة عام، دون أن يفهموا أن المرأة متجهة نحو الحاضر ، والرجل نزّاع إلى المستقبل .

- صبورة :

تتمتع معظم النساء بالصبر ؛ وصحيح أن صبر امرأة يمكن أن يكون لا نهائيًا في الحب، والأمل، والرعاية التي تمنحها لزوجها وأطفالها ، والغفران الذي تنعم به، والأعمال التي تباشرها- ولكنه لا نهائي أيضًا في الحقد الذي تعاقب به ، في بعض الأحيان، شخصًا من الأشخاص .

وعلى ذلك فإنه يجدر بالمرأة المثالية ألا تسيء استعمال هذه القدرة ؛ ذلك أن للمواد الأمتن نقطة تصدّع !.

ومن حسن الحظ أن كثيرات – أو الغالب الأعم – من النساء يتصفن بهذه الصفة. تلقائيًا بحكم الظروف الطبيعية التي تمر بهن ؛ فالمرأة تعرف بجسدها، أن تسعة شهور ضرورية لإنجاب طفل. إن هذه الشهور التسعة ، بالنسبة إليها، شهور مشخصة ، تمضي بالأيام، يومًا فيومًا . وتعلم المرأة إلى أي حد تتصف، بفعل بطنها، أنها تابعة للزمن ، وأن هذا الزمن ضروري، وينبغي ألا تحاول مقاومته. فتسعة أشهر هي تسعة أشهر ، ولا حيلة لها في تغييرها .

فالمرأة ، بحكم الظروف الطبيعية ، ملتحمة بالزمن ، وجسمها تذكير دائم به. وهي ملزمة أن تضع نفسها في موقف الإصغاء للحياة ، لحياتها هي في الواقع؛ إذ أن كل شيء يحدث فيها. ولكنها من خلال هذا الطفل الممكن أو الواقعي إنما تصغي إلى العالم .

إذن فحواء في حالة الإصغاء إلى العالم ، دون أن تعلم أن تريد ذلك .

والمرأة المثالية هي التي تستجيب لهذه الصفة الكامنة فيها ، ولا تحاول أن تقضي عليها أو تشوشها جريًا وراء أوهام. فبعض النساء تُخدعن في أيامنا هذه بأسطورة « تحقيق الذات » من خلال المشاركة في أعمال لا تتلاءم مع طبيعتهن، تلك الأعمال التي تشوّش تدريجيًا رادار الشعور بالزمن الداخلي الذاتي الذي يُعلم المرأة كيف تصبر .

وصفوة القول أن التحام المرأة بالزمن يولِّد لديها القدرة على الانتظار، والانتظار بدوره يولد لديها قوة متميزة هي قوة الصبر . والمرأة الذكية هي التي تعرف كيف تحافظ على هذه القوة وتنميها .

- وأخيرًا : لا تشوه صفاتها الجميلة :

الحنان .. الجلد .. الوفاء .. الوقار .. الاستقرار .. التنظيم ..

كل تلك الصفات الجميلة التي من الممكن أن تتحلى بها المرأة ، والتي تستطيع بها أن تكون الملكة المتربعة على عرش قلب الرجل .. أقول كل تلك الصفات لا تكتسب معناها وتأثيرها وفاعليتها إلا إذا وُجدت في امرأة ذات سيكولوجية متوازنة؛ أما إذا كانت سيكولوجية المرأة مشوهة، فإن كل تلك السمات تتحول بقدرة قادر إلى سمات كئيبة ومدمرة .. كيف ..؟ كيف يمكن أن يتحول الحنان والجلد والوفاء .. إلخ ، إلى صفات كئيبة ومدمرة؟.

ها هي ذي امرأة لها « حنان الأم » .. ماذا تقدم؟ وماذا تطلب؟.

إذا كانت نفسيتها سليمة ومتوازنة، أمكنها أن تظهر نزعاتها الدافئة، والمتسامحة، والمسؤولة، والحفيّة ، والنشيطة، والمشاركة .

ولكنها إذا كانت ذات نفسية مشوّهة، فليس بإمكانها أن تعرض غير نزعة لها حنان الأم المشوّه. وستصبح دبقة[1] ، ونزّاعة إلى الملك ، وسلطوية، ومدققة ، ومراقبة .

يبقى السؤال الثاني : ماذا تطلب ؟

إذا كانت نفسيتها سوية ، طلبت ثقة الرجل وعفويته وتلقائيته، وأصبحت بالنسبة إليه زاد المسافر الذي لا غنى عنه .

أما إذا كانت نفسية هذا المرأة مضطربة ، فإنها تعمل بصورة لا شعورية على أن يبقى رفيقها مكتوف الأيدي بوسعها السيطرة عليه . إنها تطلب أن يكون رفيقها بحاجة إليها، بالمعنى السيئ للكلمة .

---

(١) (دَبِقَ) – دبقًا : لصق . و–بالشيء : ضري به فَلَم يفارقه .

وتريد أن يقدّم إليها تقريرًا بصدد كل شيء ولا شيء . ومن المؤكد أنها تتلقى الإجابة التي تطابق ما تعطيه. وسيتخلص أي رجل سوي - بأي ثمن - من هذه السلاسل التي تحول بينه وبين الحياة ، وتؤدي به إلى الإحساس بالسقوط مرة ثانية في عبوديات الطفولة .

فهكذا تحولت الصفة الجميلة « الحنان » مع المرأة مشوهة النفسية إلى « مراقبة » فظة، و« سيطرة » حديدية ، وأصبحت تلك المرأة نزّاعة إلى الابتلاع، إلى أن تجعل من نفسها ذات حضور كلي ، مالكة ، عاجزة عن أن تترك مبادرة لرفيقها. ويحدث كل شيء معها كما لو كانت تريد أن « تأكل الرجل » أو تخنقه تحت ما تقدمه من عناية ..

نأخذ صفة جميلة أخرى مثل « الجلد » ، تلك الصفة التي تتحلى بها كل امرأة مثالية، فيكون لديها من القوة والتماسك ما يجعلها تصبر على الشدائد وكل ألوان المعاناة.. كيف تتحول تلك السمة البناءة إلى سمة مدمرة ؟

يحدث ذلك عندما يكفّ الجلد عن أن يتصف بالمرح ، والمرونة ، والتفاؤل. وتتخثّر[1] المرأة من الناحية الوجدانية ، وتصبح باردة ، وقاسية ، وصلبة، ويصبح الجلَد حضورًا أخرس، صامتًا ، مفعمًا بالسلبية .

وإذا انتقلنا لصفة « الوفاء » ، نجد تلك الصفة تشوهها المرأة غير السوية ، فيتحول وفاء الأنوثة العميق إلى المطالبة ، ويصبح ضربًا من الواجب الثقيل ، ومن الأخلاق المتصلبة. ومثل هذا النوع المشوه من الوفاء ينضم إلى الجلد المشوه.

أما صفة « الوقار » ، فإنها تنقلب مع تلك المرأة إلى التكلّف والتظاهر الكذاب والكبر، وتنعطف نحو الكآبة، ويصبح ضربًا من فرض الاحترام على الآخرين . فلا تفكر مثل هذه إلا في المظاهر، فتدفع زوجها إلى أن يصبح دمية اجتماعية .

ومن صفات المرأة المثالية التي تنعطف بها المرأة الأخرى إلى صفة سيئة « الاستقرار » ، ولا شك أن استقرار المرأة عنصر من العناصر التي تجعل الرجل آمنًا، ولكنه مع تلك المرأة يصبح شبيهًا بماء تجمّد ، حيث يفقد خاصية المرونة، ولم يعد يتكيف مع الظروف ؛ فهذه المرأة لا تفهم إلى أي مدى يتصف الرجل بأنه « صيرورة » ، وبالتالي تعامله على أنه « ثبات » فتستنزف إبداعية الرجل وفاعليته الكامنة في صيرورته .

وعندما تبالغ المرأة في التحلي بأي صفة من الصفات وتفرط في اتباعها ، فإنها تشوه تلك الصفة ؛ فالإفراط والمبالغة في شيء مهما كان جميلًا وعظيمًا يؤدي به إلى نقيضه من حيث

---

(١) أي تغلظ وتتصلب .

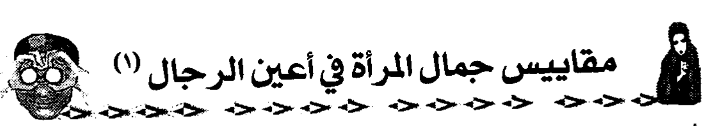
الأثر المترتب عليه ، خذي مثلًا على ذلك « التنظيم »، فإنه يغدو شيئًا قميئًا عندما يصبح هوس الترتيب ، والنظافة ، والجدول الزمني المحدد الذي يقتل تلقائية الإنسان ، وعندما يصبح الرجل موضع هجوم بضروب اللوم التهكمي والساخر، الذي يجعله في بعض الأحيان لا يجرؤ على أن ينقل شيئًا من مكان إلى آخر !.

فهكذا تحولت صفات جميلة كالحنان ، والجلد ، والوفاء ، والوقار ، والاستقرار ، والنظام.. مع امرأة غير سوية ، إلى صفات قميئة ومدمرة بعد أن كانت صفات عظيمة وبنّاءة .

وهكذا قُلْ - أو قُولي - في سائر الصفات ..

والرجل لا يستطيع أن يفعل مع تلك المرأة المشوهة إلا أن يهرب فينجو ، أو أن يخضع فيموت موتًا بطيئًا من الخواء الوجداني !.

والمرأة المثالية تعي تمامًا هذه الحقيقة ، فتحافظ على ما تتحلى به من صفات ، فتراعيها وتنميها باستمرار ؛ وتحذر أن تنعطف بها انعطافة غير مشروعة ، أو تبالغ فيها مبالغة تقضي عليها .



مقاييس جمال المرأة في أعين الرجال (١)

- أهمية الجسد :

ليس من شك في أن الإنسان ، ذكرًا كان أو أنثى ، لا يستطيع أن يوجد في العالم إلا من خلال وجوده في صورة جسدية . فمن خلال الجسد بأعضائه الحسية يدرك العقل الإنساني الأشياء والكائنات ، ومن خلال الجسد يكون قادرًا على التأثير وقابلًا للتأثر.

وبطبيعة الحال فإن الوجود البشري يتألف من مقومات أخرى غير الجسد مثل : الروح، العقل ، النفس ، وهذه المقومات ليست منفصلة عن بعضها البعض ، إنما هي تكوِّن وحدة واحدة : وحدة روحية عقلية نفسية جسدية .. وحدة الإنسان بوصفه « موجود - في - العالم » .

ورغم بداهة هذه الحقيقة ، إلاّ أن هناك مَنْ يتجاهلون أهمية الجسد أو يرتابون فيها، لا سيما الذين ينزعون نحو الرهبنة؛ فيعتبرون الذات الحقة والإنسان الحقيقي هو روح أو عقل،

---

(١) نقصد بجمال المرأة هنا جمال الجسد ، أما أنواع الجمال الأخرى كجمال الروح والعقل والسلوك وما إليها، فقد تحدثنا عنها في الفصول الأخرى .

أي أن مقوماته الأصيلة غير مادية، أما الجسد فهو في نظرهم عبارة عن شيء زائد أو هو هيكل أو إطار من نوع ما .

وقد أظهرت التحليلات العلمية الحديثة ، بل والنظرة الموضوعية للإنسان العادي ، خطأ تلك النظرة المترهبنة ؛ حيث أكدت على أن الوجود البشري هو « وجود - في - العالم » ؛ ومنطقيًا فليس ثمة وجود بَشري بلا بيئة ، وبالتالي فلا بد من الاعتراف بالجسد المكوِّن للوجود البشري ؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يكون في العالم ويتفاعل مع البيئة إلا من خلال الجسد .

- دور الجسد في العلاقات الإنسانية :

ذلك الجسد يمثل « نقطة مركزية » في العلاقات الإنسانية ، ينبني عليها الكثير من النتائج والآثار النفسية والاجتماعية والحضارية .

فالعناصر الجسمية في العلاقات بين الناس عامة ، والجنسين بصفة خاصة ، هي عناصر هامة وفعّالة في تكوين تلك العلاقات والإبقاء عليها. وتؤكد أحدث الدراسات على أن العامل الجسدي الشكلي هو أكثر العوامل تأثيرًا في انجذاب الأطفال والفتيات إلى بعضهم البعض ؛ فمن كان شكله جذابًا منهم ، ذكرًا أو أنثى، يحظى بقبول أكبر وحب أعظم. وذلك في دراسات (ديون Dion وآخرين سنة ١٩٧٤ م) . وقد وجد ديون سنة ١٩٧٧ م أن جاذبية الوجه تعدّ نقطة الارتكاز الأولى للجاذبية، وأنها تساعد صاحبها أو المتعامل معه، على إقامة علاقات اجتماعية أكثر استدامة ووفاقًا ، كما أن لذلك أثرًا بيّنًا في توجيه السلوك نحو مسالك لا تتسم بالضعف والعدوانية .

وفي دراسات أخرى تبين بشكل عام أن الأفراد الأكثر جاذبية ، من ناحية الشكل ، يملكون في نظر من يتعاملون معهم خصائص إيجابية ، بعكس الذين لا يملكون هذه الجاذبية فينظر إليهم على أنهم يحملون خصائص سلبية .

وقد أفادت دراسة قام بها سولومون وساكس Solomon and Saxs سنة ١٩٧٩ م ، أفادت أن الجاذبية الجسمية والذكاء لهما تأثير هام في تكوين انطباع الجاذبية الكلية عند المشاهد .

كما أفادت هذه الدراسة بأن الناس عامة يتصفون بالكسل في حكمهم على جاذبية الغير؛ حيث إنهم لا يكلفون أنفسهم مشقة التعمق، ويحكمون على الأشخاص من مظاهرهم البادية فحسب ؛ مما يعني أنهم يبنون صرحًا من الأحكام على أساس ضحل من الملاحظة. وهذا ما يحدث في معظم المقابلات القصيرة لأغراض العمل والدراسة

والتوظيف؛ حيث هناك غالبًا مَنْ ينفعلون بسرعة لمظاهر جسمية في شخص يرونه جذابًا، ثم يستخدمون هذا الانفعال السريع في بناء أحكامهم النهائية .

وقد تبين في دراسات أخرى تمّ فيها توزيع الطلبة بالكومبيوتر - أن ما يدفع الجنسين بعضهم إلى بعض بالتعارف واللقاء في البداية يعتمد على الجواذب الجسمية، وهي نتيجة أكدتها الملاحظات في المجتمعات الطلابية وغيرها من المجتمعات التي تجمع بين الجنسين لأول مرة .

ولكن يلاحظ أن الذكور غالبًا أكثر تأثرًا من الإناث بالسمات الجسمية ، حيث اتضح من استقراء كثير من النصوص الأدبية والشعرية والأعمال الفنية ، فضلًا عن الأبحاث المعاصرة - أن تحريك السمات الجسدية الأنثوية للذكور أكبر من تحريك السمات الجسدية الذكرية للإناث ، فالذكور غالبًا ما يختارون الأنثى على أسس جسمية ، كنقطة ابتداء على الأقل . ويمثل هذا الاختيار الجسمي الأساس لأي علاقة أخرى سواء وعي الفرد ذلك في شعوره أو لم يعه .

وهنا يبرز سؤالنا الأساسي والمحوري في هذا الفصل :

ما هي السمات الجسمية المكوّنة للجاذبية الأنثوية في نظر الرجال ؟.

إن الإجابة العلمية الدقيقة على هذا السؤال ليست من السهولة بمكان ؛ ذلك أن هنالك تفاوتًا كبيرًا في الرجال في تحديد الجوانب الجسمية الأنثوية المغرية لهم.

وتوجد فروق حضارية متعددة في النظر إلى الجمال الجسمي ؛ فنظرة الحضارة الفرعونية إليه غير نظرة الإغريق، وهاتان النظرتان تختلفان عن نظرة الفُرس، أما العرب الشعراء فلهم وجهة نظر أخرى قد تختلف في جانب أو تتفق في آخر مع كل من تلك النظرات .

بل وتوجد فروق فردية في نطاق الحضارة الواحدة في تحديد ما يجذب الرجال في الجسد الأنثوي ؛ فتختلف صور الجمال في نظر كل منهم ، من حيث تقدير طول القامة أو قصرها، وامتلاء البدن أو نحافته ، واستدارة الوجه أو استطالته ، وبياض البشرة أو سمارها .

وهناك من ينظرون إلى الجمال الأنثوي في رشاقة الجسم وانسيابه ، بينما يركز آخرون على تناسق الوجه وبهائه ، في حين يُجمع البعض في نظرتهم بين اعتبار رشاقة الجسد وبهاء الوجه .

وثمة رجال يفضلونها ممتلئة ، وآخرون يرغبون في الرفيعة ، وهناك من تجذبهم معتدلات الجسم.. كما أن بعض الرجال يتوقون إلى السمراء ، وآخرون إلى الشقراء ، وطائفة يحبذون البيضاء .

فالجمال الجسدي ألوان مختلفة ، وأنماط متعددة ، وتؤكد أحدث الدراسات التي وقعت عليها أيدينا تنوع نظرة الرجال ؛ في تباين شديد ؛ في تحديد جوانب الجسد الأنثوي .

فقد جاء في دراسة قام بها وجنز Wiggins سنة ١٩٦٨ م ودراسة أخرى قامت بها سالي بك Sally Beck في جامعة بتلر بأمريكا سنة ١٩٧٩ م : أن الفروق الفردية بين الرجال في اختيارهم للإناث تعكس خصائص شخصية الذكر وخلفيته الاجتماعية والثقافية والحضارية ، وهذا يتضح كالآتي :

إن الرجال الذين يختارون الأنثى البدينة هم عادة غير مستقرين عاطفيًا ، واهتماماتهم قليلة بالتحصيل الأكاديمي والأمور الجمالية .

أما الإناث معتدلات الحجم ، فقد اختارهن الذكور الذين يتمتعون بالشعور بالمسؤولية الاجتماعية ، والذين يميلون عادة إلى التقليل من شأن أنفسهم وبالانتباه إلى داخل ذواتهم.

أما الذكور الذين يختارون الإناث الضئيلات جسميًا ، فإنهم يتصفون بعدم الثبات في عاداتهم الشخصية وفي عملهم .

وأفادت هاتان الدراستان بأن الذكور الذين يفضلون النهود الكبيرة يميلون عادة نحو العنف والاستقلالية في الحياة ..

بينما أولئك الذكور الذين يفضلون النهود الصغيرة فإنهم يميلون عادة إلى السلبية، كما أنهم يقللون من شأن أنفسهم ، إضافة إلى أنهم غير حاسمين في آرائهم .

وأشارت الدراستان كذلك إلى أن الذكور الذين يميلون إلى الألْيَة الضخمة في الأنثى ، يتصفون عادة بتصور ضعيف لأنفسهم والتقليل منها ، كما أنهم يعانون من صعوبات في التكيف .

أما أولئك الذين يختارون السيقان الضخمة ، فهم يتمتعون بشخصية هادئة ، ويشعرون بالمسؤولية وهم يركزون انتباههم على أفكارهم ومشاعرهم .

بينما الذين يميلون إلى السيقان الصغيرة الناحلة ، فإنهم عادة يتمتعون بميول جمالية ، ويجدون مشقة في مواجهة الضغوط ، ومنهم من يسعى لجلب انتباه الآخرين .

ومهما يكن من اختلاف تقدير الرجال لصور الجاذبية في جسد المرأة ، إلا أنه يمكن التوصل إلى تحديد جوانب جسدية أنثوية معينة يشترك في الاتفاق عليها معظم الرجال.. هذه الجوانب تتمثل في التناسب والتناسق بين أعضاء ومكونات جسد المرأة.

ولا يتحقق ذلك التناسب والتناسق بصورة مثالية إلا إذا كان طول المرأة طولًا متوسطًا، لا هي بالطويلة ولا بالقصيرة .. وكان وزنها متناسبًا مع طولها.. وحوضها عريضًا مؤهلًا

لاحتضان طفل .. وكتفاها - بعكس الرجل - أضيق من حوضها .. وساقاها منحنيتين.. وفخذاها ملتصقين .... أما عظامها فتكون عريضة قليلًا.. وجبينها يظل ساقطًا .. وتكون أنسجتها الشحمية أكثر من عضلاتها ، فتشكل تدويرات عديدة تؤكد نضوجها .. وتتسع حنجرتها قليلًا ، ويظل صوتها صافيًا رخيمًا ، مثل صوت الغلام .. وتملك شعرًا طويلًا.. وبشرة ناعمة نضرة .. وشفتين صغيرتين .. وعينين برّاقتين .. وأسنان بيضاء لامعة، متراصة متضامة في خط دائري مستقيم لا عوج فيه.. وتتمتع بنهدين متكورين نافرين.. وأخيرًا تفوح منها رائحة الأنوثة التي ما زالت تجذب الرجال وتأسرهم منذ العصور السحيقة .

تلك هي الصورة المثالية لجسد المرأة في أعين الرجال كما كشف عنها كثير من الدراسات، تتمثل أهم معالمها في تحقيق التناسب والتناسق بين كل أجزاء الجسم .

- معايير جمال المرأة في أعين الأدباء والشعراء :

احتل الجمال الأنثوي مكانة خاصة في الأدب العربي ، فطالما تحدث الشعراء والأدباء عن مفاتن المرأة وبهائها .

فعيّنوا ما يعجبهم فيها وما يجذبهم إليها . وقد اتخذ التعبير عن ذلك أجمل التعابير النثرية والشعرية التي تدل على أن العرب قد ربطوا منذ وقت مبكر بين الجوانب الجسدية في الأنثى ومجالات الإبداع في الأدب ، وقد بلغ ذلك التعبير حدًا من الروعة لا يقل عن التعبير الإبداعي لحضارات أخرى لجأت إلى أساليب متنوعة كالنحت والسيراميك في الحضارة اليونانية والرومانية ، والرسم في حضارة الرينسانس والعصر الحديث. فضلًا عن أنها تتعادل في دقتها مع أحدث الأبحاث المعاصرة في مقاييس الجمال الأنثوي.

فإذا ما بدأنا بلون البشرة ، فسنجد أن بين البيض والسُمر في كتب الأدب مخصامات طويلة، ولكلٍ لون معجبون . فمثلًا بشّار بن بُرد يفضل السمراء ، فيقول :

وغادة سوداء براقة ... كالماء في طيب وفي لين
كأنها صيغت لمن نالها ... من عنبر بالمسك معجون

ولكن أكثر الشعراء والأدباء يفضلونها بيضاء ذات خدود حمراء تخالطها صُفرة.. فقال ابن عبد ربه :

بيضاء يَحْمَرُّ خداها إذا خجلت ... كما جرى ذهب في صفحتي ورق[1]

وقال ذو الرّمة :

---

(١) الوَرِق : الفضة .

بيضاء صفراء قد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب

وقال عدي بن زيد يصف لون بشرة محبوبته :

حُمرة خلطت صُفرة في بياض مثل ما حاك حائك ديباجًا[1]

وقال أيضًا ابن عبد ربه مؤكدًا وصفه الأول :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دُرًّا يعود من الحياء عقيقًا[2]

وقال :

عقائل كالآرام أما وجوهها فَدُرٌّ ولكن الخدود عقيق[3]

وقد وصفها شاعر آخر بأنها تتلون بلون الشمس ، فهي بالضحى بيضاء، وبالعشي صفراء، فقال :

بيضاء ضَحْوتُها وصفـ ـراء العشية كالعرارة[4]

فإذا انتقلنا إلى جمال العيون ، فنجد أن شعراء العرب غالبًا ما ينجذبون إلى الحوراء العين، وحور العين : أن يشتد بياضها وسوادها.. ويقال : الحور اسوداد المقلة كلها كعيون المَهَا « البقر الوحشي » .

وقد وجد جرير الشاعر الشهير في العيون الحور جمالًا يقتل ، فقال :

إن العيون التي في طرفها حور قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

وإذا كان جرير تقتله الحور العين ، فإن آخر تسلب لبّه دعجاء العين، وهي شديدة السواد مع سعتها.. يقول أعرابي : « دخلت البصرة فرأيت أعينًا دعجًا ، وحواجب زُجًّا ، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب » . والحواجب الزُّج : هي الدقيقة . والزَّجاء : الدقيقة الحاجبين الممتدين حتى كأنهما خُطّا بقلم .

يقول الشاعر :

وزجَّجْن الحواجب والعيونا ..

وكان الشعراء أيضًا يحبون العيون المكحولة ، فالعينان يراهما الرائي وكأنهما مكحولتان وليس بهما كحل ، وإنما يكون حسنهما طبيعيًا غير مصطنع ..

---

(١) الديباج : حرير سميك .

(٢) العقيق : من الأحجار الكريمة ، له أنواع كثيرة متعددة الألوان ، فمنها الأبيض ، والأزرق ، والأسمر، والأحمر. ولكن كان المعروف عند قدامى الشعراء « الأحمر» فراحوا يضربون به الأمثال . أما الدر فلونه أبيض.

(٣) العقائل : مفردها عقيلة ، وهي الكريمة المصونة من النساء . والآرام : جمع رئم، وهو الظبي الأبيض .

(٤) العرار : نوع من أنواع النبات . واحدته عرارة ، وزهره أصفر طيب الرائحة .

وفي هذا المعنى يقول ابن هانئ الأندلسي :

حسبوا التكحل في جفونك حلية ... تالله ما بأكفهم كحّلوك

أما الشَّعر ، فمن الأفضل أن يكون أسود طويلًا .. قال ابن المنذر :

فأمسيت في ليلين بالشَّعر والدجى ..

هذا ، ولا يكتفي الشعراء العرب بوصف محاسن المرأة الجسدية فقط، بل يتجاوزون ذلك الوصف إلى إظهار الشوق البالغ والتطلع الشديد إلى القرب منها .. من هذا القبيل ما قاله أحد الشعراء عندما نظر إلى امرأة حسناء جميلة ، تسمى ذلفاء، ومعها صبي يبكي، وكلما بكى قبّلته، فأنشأ ذلك الشاعر يقول :

يا ليتني كنت صَبيًا مُرْضَعا ... تحملني الذلفاء حولًا أكتعًا[1]

إذا بكيت قبّلتني أربعًا ... فلا أزال الدهر أبكي أجمعا[2]

وقد جاءت نصوص نثرية كثيرة من الجاهلية تصف وصفًا كاملًا متكاملًا المرأة الجميلة، منها ما قاله الأخوان عمرو وربيعة، عندما سألهما أبوهما عن صفات أحب النساء إليهما؛ فقال عمرو :

«الهركولة .. اللّفاء[3] .. الممكورة[4] .. الجيداء[5] .. التي يُشفى السقيم كلامها.. ويُبرئ الوهيب إلمامها.. الفاترة الطرف[6] .. الفلة الكف.. العميمة الرِدْف[7] » .

أما أخوه ربيعة فقال في وصفها :

« الفتانة العينين .. والأسيلة الخدين[8] .. والكاعب الثديين[9] .. الرداح الوركين[10] .. الشاكرة للقليل.. المساعدة للحليل .. الرخيمة الكلام[11] » ..

وبالإضافة لهذه النصوص التي جاءتنا من العصر الجاهلي ، توجد أيضًا نصوص من العصر الإسلامي تصف الجمال الجسدي للمرأة المثالية وصفًا رائعًا دقيقًا ، نذكر منها وصف رجل من غطفان أجاب به على سؤال عبد الملك بن مروان عندما قال له :

---

(١) أي عامًا كاملاً . (٢) العقد الفريد لابن عبد ربه .

(٣) الهِرْكَوْلة من النساء : العظيمة الوركين . واللفاء : التي ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمهما .

(٤) الممكورة : المرأة ذات الساق الغليظة المستديرة الحسناء .

(٥) الجيداء : التي طال عنقها وحسُن . (٦) الطرف : العين . ويُقال : طرف فاتر : فيه ضعف مستحسن.

(٧) الرِدْف : العَجُزُ : ومؤخر كل شيء .

(٨) (أسُل) أسالة : مَلُس واستوى ، فهو أسيل . يقال : خد أسيل ، وكفّ أسيلة الأصابع .

(٩) (كعبت) الفتاةُ – كعوبًا : نهد ثديها ، أي برز وارتفع ، فهي كعاب وكاعب .

(١٠) الرَدَاح الوركين : أي ضخمة الرِدف سمينة الأوراك .

(١١) الرخيمة الكلام : التي لان كلامها ورقّ ولطف .

« صف لي أحسن النساء ..

قال : خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين . ردماء الكعبين[١] .. مملوءة الساقين.. جمّاء الركبتين[٢] .. لفّاء الفخذين .. مقرمدة الرفغين[٣] .. ناعمة الأليتين.. منيفة المأكمتين[٤] .. فعمة العضدين[٥] .. فخمة الذراعين.. رَخْصَة الكفين[٦] .. ناهدة الثديين .. حمراء الخدين .. كحلاء العينين .. زَجّاء الحاجبين[٧] .. لمياء الشفتين[٨].. بلجاء الجبين[٩] .. شماء العرنين[١٠].. شنباء الثغر[١١] .. حالكة الشعر[١٢] .. غيداء العنق[١٣] .. عيناء العينين[١٤] مكسرة البطن.. ناتئة الركب.

فقال عبد الملك : ويحك ! وأنّى توجد هذه ؟.

قال : تجدها في خالص العرب ، أو في خالص الفرس » .

ولا يقتصر الأدب على وصف الرجال لمفاتن النساء ، بل به أيضًا نصوص تصف فيها المرأة مفاتن بنات جنسها، وطبعا هذا خارج عن نطاق هذا الكتاب لأننا نبحث فيه عن المرأة المثالية في أعين الرجال ، لا في أعين النساء .

وقد وقفت على نص أدبي تصف فيه امرأة محاسن فتاة جميلة .. هذا الوصف نال قبول الرجال، ومن هنا فهو يدخل في دائرة اهتمامنا؛ لأن المرأة تصف فيه الأنثى المغرية من وجهة نظر الرجل .

فقد أرسل الحارث بن عمرو ملك كندة امرأة يُقال لها عصام إلى ابنة عوف لكي تتعرف على أوصافها لما أخبره البعض بكمالها وجمالها .

وعندما عادت عصام استنطقها بالقول المأثور : « ما ورائك يا عصام » .

فقالت : « رأيت وجهًا كالمرآة المصقولة .. يزينها شعر حالك كأذناب الخيل[١٥]..

---

(١) أي لا يوجد بهما شقوق . (٢) يقصد أن ركبتيها غير بارزتين وليس عظمهما ناتئًا .

(٣) الرفغ – كما قال ابن السكيت – : أصل الفخذ . وثوب مقرمد بالطيب والزعفران : أي مطلي به .

(٤) المأكم والمأكمة : لحمة على رأس الورك ، وهما اثنتان أو لحمتان وصلتا بين العجز والمتين، ويقصد أنها عظيمة المأكمتين.

(٥) فعم الساعد والإناء : امتلأ . وفعمت المرأة : استوى خلقها ، وغلظ ساقها فهي فعمة .

(٦) أي ناعمة الكفين لينتهما . (٧) أي رقيقة الحاجبين طويلتهما .

(٨) لمياء الشفتين : اللّمى سمرة في الشفة تستحسن .

(٩) يقصد أن في جبينها إشراقًا ونورًا . فالبلج : تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين . وتبلج الصبح : أشرق وأنار .

(١٠) شماء : عالية ، والعرنين : الأنف . والمراد أن فيها عزة .

(١١) المراد أن أسنانها بيضاء حسناء . (١٢) أي شديدة سواد الشعر .

(١٣) الغيد : ميل العنق ولين الأعطاف ، والغادة المرأة اللينة البينة الغيد .

(١٤) أي حسنة العينين . (١٥) الأذناب : جمع ذنب ، وهو الذيل .

وحاجبين كأنهما خُطّا بقلم أو سُوِّدا بحمم[١] .. بينهما أنف كحد السيف الصنيع.. حفت به وجنتان[٢] كالأرجوان[٣] في بياض كالجُمان[٤] .. شفافية فم كالخاتم، لذيذ المبتسم، فيه ثنايا غُر[٥] ذوات أشر[٦] ، تقلب فيه لسان بفصاحة وبيان، بعقل وافر، وجواب حاضر، تلتقي فيه شفتان حمراوان تجلبان ريقًا كالشهد إذ دلك.. وفي رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كتمثال دمية.. وعضدان ممتلئان لحمًا ، مكتنزان شحمًا ، وذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يُجَس.. نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها.. تحت ذلك بطن طوى كطي القباطي المدمجة[٧] .. كسى عكنا[٨] كالقراطيس المدرجة ، تحيط بتلك العكن بُشرة[٩] كمدهن[١٠] العاج المجلو .. خلف ذلك ظهر فيه كالجدول[١١] ، ينتهي إلى خصر ، لولا رحمة الله لانبتر.. لها كفل[١٢] يقعدها إذا نهضت ، وينهضها إذا قعدت كأنه دعص[١٣] رمل.. تحمله فخذان لُفّا كأنهما نضيد الجمان[١٤] .. تحتهما ساقان خدلتان[١٥] ، كالبردتين وشيتا[١٦] بشعر أسود كأنه حلق الزرد[١٧] .. يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان ؛ فتبارك الله كيف تطيقان حمل ما فوقهما » .

وما إن سمع ملك كندة هذه الأوصاف ، حتى أرسل مَنْ يخطبها له من أبيها ، وتزوج منها.

وتلك الوجهة من النظر – وجهة نظر العرب لجمال المرأة – سيكون لنا معها وقفة تحليلية في نهاية الفصل .

- محاسن المرأة في أعين فقهاء اللغة :

اهتم فقهاء اللغة أيضًا بحصر محاسن المرأة الجسدية ، وفصلوا القول في معانيها، فالمرأة الجميلة في نظرهم هي من اجتمعت لها الصفات الآتية أو بعضها :

---

(١) الحُممة : بوزن رُطبة : ما أحرق من خشب ونحوه . والجمع بحذف الهاء ، ويقصد كأنما سودا بفحم .

(٢) الوجنة : ما ارتفع من الخدّين .

(٣) الأرجوان : شجر من الفصيلة القرنية له زهر شديد الحمرة حسن المنظر وليست له رائحة .

(٤) الجمان : الفضة . (٥) غُرّ : بيضاء . (٦) الأشر : تباعد ما بين الأسنان .

(٧) القَباطِى جمع قُبطِيّة ثياب من كتان بِيض رقاق كانت تنسج بمصر. المدرجة والملفوفة في ملامسة.

(٨) (عكنت) الجارية : صارت ذات عُكن . و(تعكّن) البطنُ : صار ذا عُكن . والعُكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمنًا .

(٩) البُشرة : واحدة البُشر ، وهو الغضّ الطري من كل شيء .

(١٠) المُدْهن : آلة الدهن وقارورته . (١١) الجدول : النهر الصغير .

(١٢) الكفل : الرّدْف ، أي مؤخرة المرأة وعجيزتها . (١٣) الدعص : الكثيب والمجتمع من الرمل المستدير .

(١٤) نضيد الجمان : اللؤلؤ المنظوم ، والفضة النضيدة التي يكون بعضها فوق بعض .

(١٥) خدلتان : مملوءتان . (١٦) وشيتا : حليتا وزينتا . (١٧) الزرد : الدرع .

لفّاء.. التي ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمهما. **ردَاح**.. عظيمة العجيزة. **وركاء وهركولة**.. عظيمة الوركين. **خدَلَّجة**.. سمينة ممتلئة الذراعين والساقين. **ممشوقة**.. لطيفة الخصر مع امتداد القامة. **هضيم**.. لطيفة الكشحين. **هيفاء أو خُمْصانة**.. لطيفة البطن. **مبُتَّلَة**.. لم يركب بعض لحمها بعضًا. **خَرْعَبَة**.. حسنة القد لينة القَصَب. **عُطبول**.. طويلة العنق في اعتدال وحُسن. **بَهْنَكة**.. جميلة الوجه حسنة المغرى. **رَشُوف**.. طيبة الفم. **أنُوف**.. طيبة ريح الأنف . **فُنُقٌ** .. في وجهها نضرة النعيم. **رَقْراقة**.. كانت كأن الماء يجري في وجهها من نضرة النعمة. **فرعاء**.. تامة الشعر. **غيداء أو غادة**.. متثنية من اللين والنعمة. **عَبْقَرة**.. ناعمة جميلة. **عَبْهَرَة**.. عظيمة الخَلْق مع الجمال. **بهنانة**.. طيبة الريح. **بَضَّة**.. رقيقة الجلد، ناعمة البشرة. **خَوْد**.. شابة حسنة الخَلْق. **ممكورة**.. دقيقة المحاسن .

وقد جعلوا للحسناوات مراتب ودرجات ، كالآتي :

الوضيئة والجميلة : التي بها مسحة من الجمال .

الحُسانة : التي يشبه بعضها بعضًا في الحُسن .

الغانية : التي استغنت بجمالها عن الزينة .

المِعْطال : التي لا تبالي أن لا تلبس ثوبًا حسنًا ، ولا تتقلد قلادة فاخرة.

الوسيمة : التي كان حسنها ثابتًا كأنه قد وسِم .

القسيمة : مَنْ قسم لها حظ وافر من الحُسن .

الرائعة : مَنْ كان النظر إليها يسر الروع .

الباهر : التي غلبت النساء بحُسنها.

وإذا كانت الأشياء لا تتميز إلا بأضدادها، فقد اهتم أيضا فقهاء اللغة بتعيين صفات المرأة غير الجميلة أو التي ينقصها جانب من جوانب الجمال الجسدي ، وهي :

القَضِرة.. المرأة قليلة اللحم . **القُنْبُضَة**.. القصيرة الدميمة. **الحَنْكلة**.. تطلق أيضًا على القصيرة الدميمة . **المدشاء** .. التي ليس على ذراعيها لحم. **الكَزْواء**.. دقيقة الساقين. **القَيْعَلة**.. السمينة جدًا. **الطُرْطُبَّة**.. طويلة الثديين مسترخيتهما . **الوَطْباء**.. ضخمة الثديين. **العَرَكْرَة**.. كثيرة اللحم مضطربة الخَلْق. **العَضنَكة**.. أيضًا كثيرة اللحم مضطربة الخَلْق. **العِفْضاج**.. ضخمة البطن مسترخية اللحم. **اللخناء**.. منتنة الريح . **المَصواء**.. التي ليس على فخذيها لحم.. **الزَلاّء**.. مَنْ ليس لها عجيزة .

بهذا يتبين لنا أن الأدباء العرب القدامى وأيضًا فقهاء اللغة قد نظروا إلى جمال المرأة على أسس تكاملية بين جميع أعضاء الجسد ومكوناته .

وهذا يظهر وجه التشابه بينهم وبين نظرة اليونان إلى الجمال الأنثوي، وإن كان كل منهم يلجأ إلى شكل مختلف من أشكال التعبير الفني. فإذا كان العربي القديم يلجأ إلى رسم لوحة شعرية بالكلمات للأنثى الجميلة ، فإن اليوناني القديم كان يلجأ إلى فن النحت، فينحت تمثالًا لـ « فينوس » يضع فيه أجمل وأروع ما رأته عيناه أو خطر بخياله من صفات الحسناوات .

ولكن رغم تلك المنزلة العليا التي احتلتها الأنثى الجميلة في نفوس العرب الأدباء، إلا أنهم توخوا حُسن العقل والفضيلة على حُسن الوجه والجسد، فكانوا أقرب ما يكون لقول صيفي بن أكثم لولده: « يا بني ، لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فإن المناكح اللئيمة مدرجة[1] للشرف » .

ومن هنا فقد فضَّلَ الكثيرون منهم : « الزوجة ماجدة الأعراق، والبادي عفافها، وذات محاسن الأخلاق والتدبير والمعاشرة » . فجمال الجسد وحده لا يكفي ، وإنما لا بد من جمال الروح .. يصف أحد الشعراء محبوبته التي تجمع بين الجمالين ، فيقول :

مغيريَّةٌ ، كالبدْر سنّة وجهها ... مطهرة الأثواب والعرْض وافر

لها حسبٌ زاكٍ ، وعرض مهذّب ... وعن كُلّ مكروهٍ من الأمر زاجر

من الخِفراتِ البيض لم تلْق ريبة ... ولم يستملها عن تقى الله شاعر

وقد بلور إمام العربية الرسول الكريم ﷺ تلك النظرة التكاملية لجمال المرأة ، عندما سُئل عن المرأة الصالحة ، فقال : **« هي التي إن نظر إليها سرّته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضها »** .

فمع انبهار أدباء العربية بجمال الأنثى الجسدي وبديع صنعه وتكوينه وروعة تنسيقه، إلا أن ذلك لم يجعلهم يتغافلون عن جمال الروح والسلوك والطباع فجاءت نظرتهم إلى المرأة وما ينبغي أن يتوافر فيها من صفات أقرب إلى المثالية، فمن النادر – إن لم يكن من المستحيل – أن تجتمع روعة جمال الجسد مع روعة جمال الروح في امرأة واحدة. وقد تنبهت إلى ذلك إحدى النساء ذوات الحكمة في العصر القديم؛ حيث جاء في العقد الفريد:

« أن خالد بن صفوان نظر إلى جماعة في المسجد بالبصرة، فقال : ما هذه الجماعة؟ .

قالوا : على امرأة تدلّ على النساء . فأتاها ، فقال لها : أبغني امرأة . .

قالت : صفها لي . قال : أريدها بكرًا كثيِّب، أو ثيبًا كبِكْر، حلوة من قريب ، فخمة من

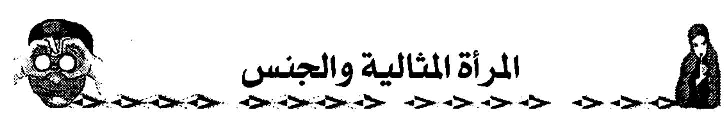
(١) أي تذهب الشرف وتميته .

بعيد ، كانت في نعمة، فأصابتها فاقة ، فمعها أدب النعمة، وذل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة . قالت : لقد أصبتها لك . قال : وأين هي ؟

قالت : في الرفيق الأعلى من الجنة ، فاعمل لها!! » .

فهذه المرأة الحصيفة أدركت بخبرتها في معرفة النساء والاطلاع على طبائعهن وأحوالهن استحالة توفر امرأة واحدة في الواقع الدنيوي تجمع بين تلك الشروط والمواصفات، وإن كان من الممكن أن توجد مثل تلك المرأة ، فإنها توجد في عالم المُثُل.. عالم الرفيق الأعلى ..

ولكن ينبغي أن نؤكد على أن العرب كانوا على وعي بمثالية مواصفاتهم في الجمع بين بهاء الجمال الجسدي والصفاء الروحي ، ولذلك فقد كانوا يبحثون عمن يتوافر فيها أكبر قدر من تلك المواصفات ، ولا شك أن كثيرًا من النساء يقتربن من ذلك المثال الجمالي بدرجات متفاوتة.. والواقع الحي أكبر شاهد على ذلك ، وليست امرأة شريح القاضي أو امرأة ملك كندة منّا ببعيد .



المرأة المثالية والجنس

- فاعلية المرأة في الحوار الجنسي :

لقد آن الأوان لكي تكون الزوجة على يقين - في مختلف طبقات المجتمع - بأنها لم تعد فقط آلة إخصاب، وإنما ارتفعت كُلّيًا لمشاركة الرجل في ملذاته ، وصارت تبادله الحركات المتماوجة الإيقاعية ، وكلما كانت المرأة ذات فاعلية في الحوار الجنسي زادت المتعة وتسامت السعادة . لقد آن الأوان لكي تعرف الزوجة أن الرجل لا يتطلع إلى امرأة باردة سلبية راضخة في المخدع، وإنما يريد امرأة إيجابية قادرة على مبادلته الحب ، تفهم بل وتؤمن بأن المتعة المشتركة هي المسألة الرئيسية التي تستحق الاهتمام وتحتل المقام الأول في الأولويات الزوجية. فقضية الجنس ليست قضية هامشية في حياة الرجل أو المرأة السويين. ولا يجوز إطلاقًا إهمالها، أو تركها لتتحكم فيها نصائح الجاهلات والجاهلين من الجدات أو الأجداد.

إن على المرأة إذا أرادت أساسًا متينًا للسعادة الزوجية ، أن تتفهم قضايا الجنس تفهمًا كاملاً ، حتى لا تصبح تلك القضايا مثار قلق ، وحيرة ، ونكد ، وتصادم في العلاقة مع الرجل ، هذه العلاقة التي يلعب الجنس فيها دور النقطة المركزية بلا جدال[1] .

---

(١) يشير الأستاذ الكبير المرحوم عبد القادر أحمد عطا .. صاحب الفهم المتألق للإسلام، والذي لم تتح له ظروف =

ألا ، فلتعلم النساء أنه ليس هناك ما هو أشد إيلامًا للنفس من رجل ملتهب العاطفة، متزوج من امرأة باردة غير مستجيبة لعاطفته. وتدل الإحصائيات على أن هذا الموقف يعتبر من عوامل الزيادة المزعجة لحوادث الطلاق، وخراب البيوت، وأسباب الانهيار النفسي!.

ولذا يتحتم على كل امرأة مخلصة تتطلع إلى إسعاد زوجها ، أن تجتهد في القضاء على كل ما يحول بينها وبين التوافق الجنسي التام معه ، وأن تركز جل اهتمامها في أن تكون تلميذة إيجابية متفاعلة نشيطة ، حتى تصبح في المستقبل خبيرة في الحب .

فلا شيء أضمن لسعادة الزوجة ، ولا آمن على رجولة وإخلاص الزوج ، من خبرة المرأة في فن الحب. والوفاق الذي يتم في الليل نادرًا ما تزول سعادته في وضح النهار.

ومن ثَمَّ فعلى المرأة أن تتعلم وتتقن فن الحب ، ولا يجوز لها - في عين الرجل - أن تجهل أهمية رسالتها الجنسية ؛ فبدلاً من أن تحسبها تبعة مخلة بالآداب ، عليها أن تكرّس لها أثمن أوقاتها التي طالما تبذرها النساء على تفاهات، وربما على أهداف لا تليق بالمرأة السوية.

= الحياة وهمومها أن يخرج كل ما عنده من علم وفهم فريدين.. يشير الأستاذ الفاضل في كتابه « اللقاء بين الزوجين» - في عبارات نارية - « إلى أهل الورع الكاذب والحياء المزيف الذين جهلوا أهمية الثقافة الجنسية، وما علموا مدى تأثيرها الهائل في حركة الحياة . فعندما يتورع لفيف من العلماء والمفكرين الإسلاميين عن الخوض في مسائل لم يتورع عن الخوض فيها الرسول ﷺ وأصحابه ، فإن ورع هؤلاء المفكرين والعلماء ورع كاذب . وحينما يستحي هؤلاء المفكرون من ذكر أمور لم يستح رسول الله ﷺ وأصحابه من ذكرها ، فإن حياءهم حياء مزيف . فلقد تكلم القرآن في مسائل العلاقة الجنسية بين الزوجين، وتحدث الرسول ﷺ فيها بالتفصيل ، وأجاب السائلين عن دقائقها رجالاً ونساء، بل وأمر بعض أمهات المؤمنين أن ترشد امرأة إلى شأن من أخص شئون النساء ، مما جرت العادة أن الرجل لا يتحدث به إلى امرأة .

وهنا كان حياء الرسول وورعه ، ولم يكن من حيائه ولا ورعه أن يغلق هذا الباب في وجه من يطرقه ، فلا يتحدث فيه، ولا يأذن للغير أن يستفتوه في مسائله ومشاكله ..

ولكن بعض شيوخنا - كما يقول الأستاذ عبد القادر - أغلقوا هذا الباب .. وأغمضوا عنه عيونهم المباركة الورعة التقية النقية ، فإذا ما تحدث أحد الناس أمامهم بمسألة من هذه المسائل قلصت وجوههم، واستعاذوا من هذا الشيطان المريد الذي يلصق بالإسلام مسائل الحيوانية ، ويهمل معالي الملائكية .

ويتساءل الأستاذ : هل يريد هؤلاء أن يقولوا : إنهم أعرف بالحياء ومواطنه من الرسول ﷺ؟ هل عرفوا من مقاصد الإسلام ما لم يعرفه النبي ﷺ ؟ هل أخطأ النبي ﷺ حينما أجاب السائلين وأرشد الحائرين في هذه العلاقة التي يقوم عليها بناء الأسرة والعشيرة والأمة في الإسلام ؟

.. والحق أن أهل الحياء الكاذب والورع المزيف جهلوا وما علموا .. جهلوا أن شريعة الإسلام حينما تعني بالتثقيف الجنسي فإنما تعني بإحدى شهوتين عليهما تقوم الحياة ، ومن أجلهما كان التشريع كله؛ فهذا الحشد الهائل من تشريع الحلال والحرام إنما كان من أجل تعديل هاتين الشهوتين ، على طريق صحيح يؤدي إلى قيام العمران ، وإلى انطلاق الدعوة إلى مداها . ألا وهما : شهوتا البطن والفرج .

.. وجهلوا أن سياسة الإسلام العليا تهدف إلى ربط الإنسانية كلها بأواصر المودة والرحمة ابتداء من الزوجين، ثم الأسرة ، ثم العشيرة ، ثم المجتمع ، ثم الأمة ، ثم الإنسانية كلها. ولن تكون هذه الأواصر قوية وفعّالة إلا إذا كانت قوية في بدايتها من الحياة الزوجية بعناصرها الثلاثة ، وهي : السكن ، والمودة ، والرحمة . ولن تكون تلك العناصر أبدًا ما لم تكن العلاقة الجنسية في أرقى أحوالها من الإرواء النفسي والعاطفي الذي هو السكن في شكله ومضمونه ..» .. بتصرف .. ونحن نوصي القارئ والقارئة بالرجوع لهذا الكتاب ، حيث يوجد به مزيد من التفاصيل المهمة .

فما ينبغي لها أن يتملكها الخوف من الشهوة الجنسية ، بل يجب أن تعتبرها ذلك النداء الداخلي الصادق وأيضًا نداء الرجل !.

إن المرأة المثالية في أعين الرجل هي التي تذعن بسهولة .. هي التي تستطيع أن تزيل كل الحواجز التي حصنتها في صغرها، وتستسلم لكل المؤثرات العاطفية التي ترافق الحياة الزوجية، وتكتشف الأوضاع والأفعال والكلمات التي تحفزها هي وزوجها أكثر مما سواها.

ولقد بلغ اهتمام علماء النفس والجنس بدور المرأة في اللقاء مبلغًا عظيمًا جعلهم يصدرون مئات الكتب بمختلف اللغات حتى يعرضوا خلاصة خبراتهم في هذا الصدد.. وهؤلاء الخبراء ليسوا رجالاً فقط، وإنما منهم النساء أيضًا .. ومن الشهيرات في هذا المجال «ماري ستوبس» الحاصلة على دكتوراه في العلوم ودكتوراه في الفلسفة، ولها مؤلفات متعددة عن الجنس . وقد أتاحت لها ثقافتها أن تكون امرأة مثالية تدرك أهمية دور المرأة في الجماع منذ الليلة الأولى للزواج ، ومدى تأثير ذلك الدور ليس في نفس الرجل فقط ، وإنما في نفس المرأة ذاتها ، وبالتالي في الحياة الزوجية .. تقول «ماري ستوبس»: «يرى الذين يكتبون في أمور الجنس ، ويطبقون اختباراتهم على تقدم علم النفس إنه من الأفضل للعروس أن تشارك زوجها العمل الجنسي ، وتساعده في إتمام تمزيق الغشاء ؛ إذ أنها هي التي تحس بقليل من الألم ما إذا كان الغشاء صلبًا .

أما إذا كان الرجل هو الذي يقوم بهذا العمل وحده ، فمن المؤكد أنه وهو بحالة من النشوة قوية ، قد تعميه عن رؤية أو تلمس الألم الذي تحس به فتاته.

وذلك قد يوحي إلى العروس ، أن زوجها لا يهتم إلا برغباته ولو على حساب إزعاج زوجته. أما إذا ساعدت الزوجة بمجهود منها مشترك مع زوجها ، وذلك بالتفاهم وسلوك الطريق الذي يرضى عنه الطرفان، فلا بد أن هذا سوف يخفف من الألم، ولا تحس الزوجة بالنفور من زوجها» .

وتواصل ماري ستوبس تأكيدها على أهمية مشاركة المرأة للرجل في جميع مراحل اللقاء، فتقول : «وكذلك كي يكون الاتصال الجنسي طبيعيًا وجميلاً ومستحبًا، لا بد أن تساهم الزوجة بدورها مع الرجل في الوصول بهذا العمل إلى القمة التي ينشدها زوجها والتي يجب أن تنشدها هي أيضًا : وهذا يستدعي منها ألا تبقى شريكًا سلبيًا! بل عليها أن تندمج في دورها اندماجًا كليًا : روحيًا ، وجسديًا، ونفسيًا .. إذ أن هذا الاندماج ، وهذا الاندفاع من كل من العروسين الواحد نحو الآخر بشوق وحنين ورغبة وتفاهم، يخلع على الاتصال لونًا زاهيًا وجذابًا من ألوان المتعة واللذة المنشودة .

أما في حال بقاء الزوجة سلبية التصرف - كما تفكر بعض النساء أن يتصرفن إذا لم يكن هناك الشوق والرغبة المشتركين. كما أن الاتصال الجنسي نفسه يفقد روعته وكماله ومتعته؛ لأن جمود الزوجة يقضي على أجمل ما فيه !. أما حين تشارك الزوجة الرجل في العملية الجنسية ، فإن ذلك الاتصال يبلغ مداه من الروعة والمتعة» .

- تأكيد الإسلام على أهمية صدق المرأة وفاعليتها في العمل الجنسي :

ورد في السنن والصحاح والمسانيد وغيرها من كتب السُّنَّة الكثير من الأحاديث التي تؤكد على ضرورة مشاركة المرأة للرجل في اللقاء بصدق وإيجابية.

من تلك الأحاديث ما يرويه جابر فيقول : كنا مع النبي ﷺ في غزوة، فلما رجعنا وكنا قريبًا من المدينة ، قلت : يا رسول الله إني حديث عهد بعُرس. قال : «**أتزوجت؟**» . قلت : نعم. قال : «أبكْر أم ثيِّب؟» . قلت: بل ثيِّب. قال : «**فهلا بكرًا تلاعبها؟!**» .

وفي رواية : «**هلا بكرًا تلاعبك وتلاعبها؟!**» . [رواه الخمسة] .

وفي رواية لمسلم ، قال رسول الله ﷺ لجابر : «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟!**» - أو قال : «**تضاحكها وتضاحكك؟!**» .

ففي هذا الحديث يؤكد الرسول ﷺ على دور المرأة في مقابل دور الرجل: «**تلاعبها وتلاعبك - تضاحكها وتضاحكك**» ، فتلك العملية ليست منوطة بالرجل فقط ، وإنما بالمرأة أيضًا .

وتجدر الإشارة إلى أن حصر ذلك الفعل الإيجابي في البكر دون الثيب هنا ليس معناه ألا يداعب الزوج زوجته الثيب ، وإنما هو أن البكر أشد حياء من الثيب عند اللقاء، و المداعبة مع الحياة أشد إمتاعًا وإيناسًا في الذوق الرفيع. كما أن البكر لم تجرب أو تذق أحدًا من الرجال قبل زوجها ، فيكون ذلك أدعى لإعجابها به وبث محبته في قلبها.

وقد أخرج البخاري : أن عائشة كانت تتدلل على الرسول ﷺ لأنه لم يتزوج بكرًا غيرها، فكانت تقول له : «لو نزلت واديًا فيه شجر أكل منها، وشجر لم يؤكل منها، في أيهما ترتع بعيرك؟!» . فكان يرد عليها : «**في التي لم يؤكل منها!**» .

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق أن بلال بن أبي بردة قال لجلسائه يومًا : ما العُروبُ من النساء! فماجوا ..

وأقبل إسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلي، فقال : قد جاءكم مَنْ يخبركم.. فسألوه.. فقال : الخفرة المتبذلة لزوجها ، وأنشد :

يعربن عند بعولهن إذا خلوا ... فإذا همو خرجوا فهن خفار

ومعنى «الخفرة» : شديدة الحياء.. و«المتبذلة» : المتهتكة التي نزعت ثوب الحياء .

ولا عجب في ذلك ، فالمرأة المثالية ينبغي أن تتحلى بالحياء عندما يغيب زوجها ، أما حين عودته فتخلع برقع الحياء حتى يصدق على حالها مع زوجها وحال زوجها معها قوله تعالى : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

وقد اعتبر القرآن الكريم صفة «العَروب» إحدى صفات المرأة المثالية في جنات النعيم، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة : ٣٥ - ٣٧] .

وقد قال ابن القرطبية في كتاب الأفعال : عربت المرأة إذا تحببت إلى زوجها ، وأعرب الرجل إذا تكلم بالفحش .

وقال ابن الأثير في النهاية : العرابة هي التصريح بالكلام في الجماع . ومنه حديث : «لا تحل العرابة للمحرم» . وفي القاموس : الإعراب : الفحش وقبيح الكلام .

وقد سُئل عبد الله بن عمر عن معناه ، فقال : أما سمعت أن المُحْرِم يقال له : لا يعربها بكلام يلذها به وهي مُحْرِمة .

وذكر المفسرون في تفسير العُرُب : أنهن العواشق ، المتحببات ، الغنجات[١]، الشكلات[٢] ، الغلمات[٣] ، المتعشقات ، كل ذلك من ألفاظها .

وقال المبرد : هي العاشقة لزوجها ، وأنشد للَبِيْد :

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ... ري الروادف يعشى دونها البصر

ومهما يكن من تعدد تفسيرات المفسرين لمعنى لفظة «العروب» ، فإنها كلها تؤكد على أن المقصود هو فاعلية المرأة في الاستجابة لزوجها بالتدلل والتلطف والمداعبة .

وللمرأة المثالية أسوة حسنة في السيدة عائشة التي كانت تشارك الرسول ﷺ متعته وملذاته، حتى إنها لتحدثنا عن ذلك فيما يرويه البخاري ومسلم في صحيحيهما فتقول : «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه، تختلف أيدينا عليه! فيبادرني حتى أقول : دعْ لي دعْ لي!» .

---

(١) جاء في كتاب الأفعال لابن القرطبية : غنجت الجارية غنجًا : حسن تشكيلها. وفي القاموس : الغنج بالضم هو : الشكل بكسر الشين . والتبغنج أشد من التغنج . وفي المحكم لابن سيدة : امرأة غنجة حسنة الدل ، وغنجها : شكلها .

(٢) قال الجوهري : الشكل بالكسر : الدل . يقال : امرأة ذات شكل . وقال ابن دريد : الدلال من قولهم : امرأة ذات دل ، أي شكل . وأنشد قول الراجز :

قد قرنوني بعجوز جمهرش
كأنما دلالها على الفرش
من اخر الليل كلاب تهترش

(٣) الغلِمات : جمع غَلِمة وهي التي اشتدت شهوتها للجماع !

وروي مسلم عنها قالت : «كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فِي ، فيشرب! وأتعرَّق العرْق (أي اللحم المختلط بالعظم) وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فِي» .

فعائشة السيدة الكريمة تتفاعل مع زوجها ﷺ تفاعلاً كاملاً ، وتتجاوب معه تجاوبًا تامًا ، في كل الأحيان : من الأكل ، حتى الجماع ، فالغسل، وهي بذلك تسلك سلوك المرأة المثالية في صفة من أخص صفاتها .

- مفاتيح قلب الرجل :

يسبح الكائن البشري بين خمس مناطق مركزية ، يتبادل معها الجاذبية أو التأثير والتأثر، مثلما تدور الكواكب السيارة حول الشمس وتتبادل معها الجاذبية أو التأثير والتأثر. وعلى المرأة أن تتقن فن التعامل مع تلك المناطق الخمس ، حتى يمكنها اختراق الحواجز والتغلغل إلى قلب الرجل .

أولاً – البصر :

وهو أول المناطق وأكثرها أهمية على الإطلاق في التأثير على الرجل .. فالعين رائد القلب، وعن طريقها تبدأ روح الرجل في الانجذاب نحو المرأة ، وعن طريقها أيضًا يشمئز وينفر منها .

وقد ذكر المناوي في «فيض القدير» أن أحد حكماء الرجال قال : «تزين المرأة وتطيبها لزوجها من أقوى أسباب المحبة والألفة بينهما وعدم الكراهة والنفرة؛ لأن العين – ومثلها الأنف – رائد القلب ، فإذا استحسنت منظرًا أوصلته إلى القلب ، فحصلت المحبة. وإذا نظرت منظرًا بشعًا أو ما لا يعجبها من زيٍّ أو لباس تلقيه إلى القلب ، فتحصل الكراهية والنُّفرة» . ولهذا كان من وصايا نساء العرب لبعضهن : إياك أن تقع عين زوجك على شيء يستقبحه» .

وأكدت الأم الحكيمة لبنتها المقبلة على الزواج على أهمية : «التعهد لمواقع عينيه» ، وقالت لها : «فلا تقع عينه منك على قبيح» .

فالزوجة الذكية هي التي تحسن استخدام أسلحتها الأنثوية، فتبسط كل مغريات الأنوثة التي تشوق الزوج ، على طريقة الطاووس الذي يبسط ذيله متباهيًا بجماله الأخاذ. وتصلح هندامها ببراعة وفن، فتختار الألوان الجذابة، وتلبس الحُلي، وتصفف شعرها، وتقوم بإيماءات إيقاعية مدروسة توقظ كل ما في الرجل من مشاعر وأحاسيس يضطرم بها فؤاده وتموج بها عاطفته . واهتمام المرأة بما تقع عليه عينا زوجها لا يقتصر فقط على اهتمامها بشكلها

ومنظرها، بل أيضًا بالجو المحيط بها.. البيت بصفة عامة وحجرة النوم بصفة خاصة ..

ومن أحدث الاستخبارات في هذا الصدد ما قامت به «مارتا بومروي» و«مارتا ستيلسن كابورال» ؛ حيث جمعتا آراء عدد كبير من الرجال في الشكل الذي يفضلون أن تظهر عليه حجرة النوم ، فجاء القاسم المشترك مَن آرائهم مفضلاً اللون الأزرق ، وأن تكون الحجرة مفروشة من الحائط إلى الحائط ، وتكون مغطاة بسجادة وثيرة، أما السرير فيكون كبيرًا كسرير الملكات ، وتكون الموائد الموجودة بجواره خالية من الفوضى ومنظمة، ومن اللازم تواجد بعض أنواع النبات والأزهار .

وكانت النتيجة التي انتهت إليها تلك الباحثتان هي قولهما : «وهكذا يرغب الرجل أثناء اللقاء الجنسي أن يرقد فوق قمة جبل تعلوه أعشاب خضراء، ويلتحف السماء الزرقاء، ويحيط به ألوان من النبات الأخضر النضر» . ومهما يكن من أمر النتيجة التي توصلت إليها تلكما الباحثتان، فإن الشيء الذي يؤكد عليه معظم الرجال هو النظام والنظافة .

ثانيًا : السمع :

أما صوت المرأة ، وروعة إيقاعاته، وقدرتها على التحدث حديث الأنوثة والدلال، فمن العوامل ذات التأثير الضخم على أحاسيس الرجل . فالمرأة التي تنتقي كلماتها، وتعرف متى تتكلم ومتى تصمت، وتعلم مواطن الضحك، والتأوه، والتهكم، والهمهمة، والأنين، وما إليها من أصوات.. هي المرأة التي تملك ثاني العوامل أهمية في إنعاش الرجل وإخضاعه لدائرة جاذبيتها. ولا شك أن قدرة المرأة على مبادلة الرجل الأحاديث المثيرة، ذات شأن ملحوظ في ازدياد عرى الألفة والمودة والتجاوب .

ثالثًا – الشم :

يلعب الشم دورًا هامًا أكثر مما يتصور البعض ؛ فالرائحة الطيبة تقوي الجاذبية الأنثوية، وبالعكس تخففها – إن لم تعدمها – الروائح غير الطيبة. وقد دلت أحدث الأبحاث على أن الشم ذو أثر محوري في العلاقة الجنسية لا سيما على الرجال، وأكثر الروائح تأثيرًا عليهم هي رائحة الأنوثة الطبيعية التي تفرزها الغدد الجلدية للمرأة ، وما زالت تلك الرائحة تجذب الرجال وتأسرهم منذ العصور السحيقة .

والمرأة المثالية هي التي تعتني برائحتها وتحسن منها باستخدام أنواع العطور المختلفة، وخاصة العطور الحديثة التي تفننت أكبر الشركات في ابتكارها. وغني عن البيان أن استخدام حواء لهذه الأنواع ينبغي أن يكون بلباقة وذكاء بلا إفراط أو تفريط، وهي أدرى بذلك منا نحن الرجال !

رابعًا – اللمس :

أمر معلوم أن التصاق جلد الزوجين أحدهما بالآخر يخلق التجاوب والانجذاب المتبادل. وبالنسبة للرجال فإنهم يعتبرون الجلد الندي سبيلاً فعالاً لانتقال الحرارة الأنثوية إليهم . ويصرحون بأن ملامسات المرأة الرقيقة ذات مفعول خطير عليهم، لا سيما الملامسات اللطيفة التي تجريها المرأة كأنها تقوم بعزف سيمفوني في مناطق الإحساس الخاصة جدًا التي زوّد الله تعالى الرجل بها ، والتي تمده بطاقة ونشوة يعرفها معظم الرجال !. وتأثر الرجال العجيب باللمس لا يتوقف فحسب عند الجسد الأنثوي، بل يتعداه إلى التأثر الشديد بالملابس ذات الملمس الحريري المتميز بالطابع الأنثوي الذي يعرفه الجميع!. ويشير معظم الرجال إلى أن رقة ملمس المرأة الكامنة في بشرتها أو ملابسها، من الأشياء التي تشعرهم بفحولتهم، الأمر الذي يجعلهم يحسون إحساسًا عميقًا بلون من ألوان «تحقيق الذات» .

خامسًا – التذوق :

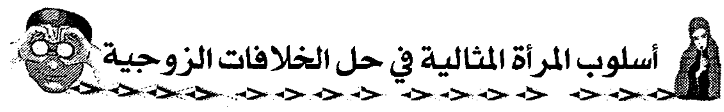
وسيلة التذوق الوحيدة عند الإنسان هي «الفم» ، الذي يعتبر أهم منطقة حساسة في الرأس ، وأول عضو فعّال بعد الأعضاء التناسلية .

وعندما يذكر المرء «الفم» من المؤكد أن الجميع يتوارد إلى ذهنهم على الفور «القُبلة» ، فبين الاثنين من التلازم الضروري ما يجعل قانون «تداعي المعاني» يفعل فعله في استدعاء أيّ منهما إذا ذُكر الآخر .

والرجل الخبير ينظر إلى القُبلة كمؤشر من أكبر مؤشرات الوفاق ، وكأنه يقول لشريكته: هل أنت عذبة المذاق؟!

فالقُبلة الطيبة المذاق هي التي تعطي أصدق الدلائل على إمكانية حدوث الانسجام الجسدي والروحي، وقيمتها تفوق آلاف العهود التي تلفظها الشفاه. وبما أنها تعطي برهان الوفاق الجسدي والروحي، فقد ارتبط بها مصير الاتصال الجنسي .

الرجل لا يتناسى أبدًا تلك الحقيقة في حكمه وتقييمه للمرأة .. ومن هنا فإنه يعتبرها مثالية – من هذه الناحية – إذا ما امتلكت القدرة على إبداع أعظم ألحان العشق بواسطة عزف الشفاه المتبادل بينها وبين الرجل . والمرأة التي تجهل هذا الأمر ، تفقد الكثير من أسس التوافق الزوجي ، وتنال عدم تقدير كثير من الرجال .



أسلوب المرأة المثالية في حل الخلافات الزوجية

تنظر المرأة المثالية نظرة واقعية إلى طبيعة الخلافات الزوجية ؛ إذ أنها تعلم أن تلك الخلافات من الممكن أن تغدو شيئًا إيجابيًا إذا أحسن التعامل معها ؛ لأنها غالبًا ما تُشيع جوًا ومناخًا من الاتصال المباشر والحوار المفتوح ؛ حيث يتم حصر ومواجهة المسائل والقضايا المؤجلة بأمانة وبطريقة مباشرة وصريحة .

ومهما يكن ، فإن الطريقة التي تتبعها المرأة المثالية في مواجهة الخلافات والمشاكل تعتبر عاملًا هامًا في القضاء عليها أو في تضخيمها وتوسيع نطاقها. حيث يظل دائمًا للكلمات الحادة ، والعبارات العنيفة ، صدى يتردد باستمرار حتى بعد انتهاء الخلاف، علاوة على الصدمات والجروح العاطفية التي تتركها تتراكم في النفوس .

وبالمقابل فإن التزام السكوت أمام هذه الخلافات قد يؤدي إلى تخفيف حدة النزاع أو تجنبه، ولكن لا يدوم الحال هكذا طويلًا ؛ حيث يتم تأجيل الخلافات لبعض الوقت وسرعان ما يشتعل البركان من جديد عند أدنى اصطدام .

وأيضًا لا تفيد أساليب وتكتيكات النقاش المختلفة - مثل أساليب التهكم والسخرية، أو الإنكار والرفض، أو اللامبالاة والتعالي، أو التشبث بالكسب ولو بأي ثمن - في حل الخلافات ، بل تؤدي مثل هذه الأساليب إلى تعميق الهوة وازدياد حدة النزاع .

ولا شك أن اختلاف المرأة مع شخص تحبه وتقدره، وخاصة إذا ما كان هذا الشخص هو الزوج ، يسبب لها كثيرًا من القلق والانزعاج الدائمين . ويزداد الأمر صعوبة وتعقيدًا إذا كانت ذات طبيعة مرهفة وحساسة . ولكن من حسن الحظ أن بإمكان كثير من النساء أن يقللن من حجم القلق والتوتر، ويقضين على أي خلاف أو مشكلة تطرأ ، وذلك عندما يتبعن أسلوبًا بناءً ومفيدًا يتمثل في الآتي :

أولًا : تحدد حواء مع الطرف الآخر ما إذا كان هذا الأمر نزاعًا وخلافًا حقيقيًا أم مجرد عُطْلٍ وركودٍ في قنوات الاتصال نشأ عن سوء فهم : ففي بعض الأحيان يسيء كل طرف فهم الطرف الآخر ، ويستمران في التعامل على أساس سوء الفهم هذا ، ومن ثمّ يتوتر الموقف ، ويتسع الخلاف . ولذلك فإن تعبير كل من الطرفين عن حقيقة مقصده وعما يضايقه بشكل واضح ومباشر يساعد على إزالة سوء الفهم؛ فربما لم يكن هناك خلاف حقيقي ، وكل ما في الأمر أن الطرفين لم يفهم كل منهما الآخر .

ثانيًا : إذا كان الخلاف حقيقيًا ، فإنها تتفق مع الرجل على مناقشة موضوع الخلاف الأصلي فقط دون غيره : فيجب عليها أن تركز على موضوع الخلاف الأصلي ، أي السبب المباشر الذي من أجله أجريت المناقشة . مما يعني حتمية ألا تثير حواء كل المشاكل، أو تذكر كل الأخطاء التي ارتكبها الرجل في الماضي ؛ لأن من شأن هذا توسيع نطاق الخلاف، وتشتت الجهد في كثير من الأمور ؛ مما قد يؤدي في النهاية إلى العجز عن حل الخلاف الأصلي .

ثالثًا : تتكلم فقط عن نفسها :

فالأسلوب الأمثل أن تتحدث حواء فقط عن أفكارها ومشاعرها ورغباتها وأحاسيسها، ولا تحاول أن تتحدث عن الزوج بشكل يُوحي إليه بأنه متهم ؛ لأنه حينئذ سيتخذ موقف الدفاع والتبرير؛ مما قد يؤدي إلى الإصرار على موقفه. فضلًا عن أن حديثها عن نفسها سيعطي له الفرصة أكثر للتعرف على ما يدور في خلدها، وما يهمها ولا يهمها، وما تكرهه وما تحبه .. مما يساعده فيما بعد على تجنب مواطن الخلاف.

رابعًا : البحث عن مواطن الاتفاق والتفاهم والتأكيد عليها :

فمناطق الالتقاء هذه هي أساس الانسجام والوئام ؛ التي من شأنها أن تقضي على أي خلاف يقف كعقبة أمامها. في حين أن البحث عن الأخطاء والعثرات لمحاولة تبرير موقف كل من الطرفين وإظهار الآخر في موضع المقصّر، من شأنه توسيع دائرة النزاع واستمرارها .

خامسًا : التصالح عن طيب خاطر :

فالتسوية غير الشاملة التي لا تأتي عن طيب خاطر ، وعن عدم رضا وقناعة ، تكون دائمًا هي المصدر والمورد الرئيسي لأية نزاعات أو خلافات مستقبلية. وتحقيق أية تسوية جيدة يكمن غالبًا في العطاء المتبادل والمتكافئ من الطرفين. فعندما يدرك كلا الشريكين أنهما قد ساهما بقدر مشترك من التضحيات والتنازلات لتحقيق هذه التسوية، حينئذ سيعمل كل طرف جاهدًا على نجاح ما تمّ الاتفاق عليه وعدم إعاقة سيره.

سادسًا : البدء في تنفيذ الحل وخطوات المصالحة في الحال :

فعندما تكون حواء قد قررت ما يجب فعله ، فإنها تبدأ فورًا في تنفيذه دون تردد . فالكلمات وحدها لا تكفي ، بل يجب أن يواكبها الفعل والعمل .

- أخطاء قاتلة تقع فيها بعض النساء :

تلك كانت أهم معالم الأسلوب البنّاء الذي تتبعه المرأة المثالية في مواجهة الخلافات والمشاكل الزوجية ، إلا أنه ينبغي التأكيد على بعض الأخطاء القاتلة التي تقع فيها بعض النساء القاصرات في معالجة مثل تلك الأمور ، نذكر منها :

أولًا : إخفاء حقيقة النوايا وكبت المشاعر :

فالمرأة التي تشعر بالخوف السلبي تجاه المشكلة ، ولا تواجه الظرف مواجهة حكيمة، بل تخفي حقيقة نواياها، وتكبت مشاعرها وعواطفها الثائرة، وتنسحب من المواجهة بأسلوب استسلامي؛ فمعنى ذلك أنها قد وضعت أقدامها على الطريق نحو شكل معين من أشكال الخصومات لا بد أن يجر عليها كثيرًا من المتاعب في المستقبل .

فالزوجة التي تجلس بخضوع واستسلام وهي ترى زوجها يؤنبها لأنها أخطأت أو قصّرت في شيء ما ، لا تلتزم جانب الحكمة بهذا السلوك ؛ لأنها ترغم الزوج - دون أن تدري - على أن يدفع الثمن بعد ذلك؛ فشعورها بالمهانة المكبوتة يجعلها تبدو متعبة عندما يحين وقت اللقاء العاطفي ليلًا ، وأسوأ عقاب توقعه الزوجة بزوجها هو أن تكون متعبة وغير قادرة على الحب . إن مواجهة غضب الزوج مواجهة قائمة على الصراحة والصدق والتعبير عن المشاعر، معناه مواجهة المشكلة مواجهة جريئة، ومثل هذه المواجهة يؤدي إلى حل المشكلة. أما الهرب عن طريق إخفاء النوايا وكبت العواطف، فهو هرب من الحياة وعدم صدق مع النفس ومع شريك الحياة .

ثانيًا : استدعاء الآخرين وإشراكهم في الخلاف :

إن من أخطر الأخطاء التي تقع فيها الزوجات - وأيضًا الأزواج - إشراك الغرباء في الخصومات المنزلية ؛ ففي مثل هذه الحالة يزداد تصلب كل طرف بآرائه ومواقفه؛ لأن همه يصبح في مثل هذه الحالة منحصرًا في حفظ ماء وجهه بدلًا من الرغبة في التركيز على المشكلة الأصلية وحلها .

ثالثًا : أسلوب قتل الشخصية :

قد تتلفظ المرأة في فورة الغضب بألفاظ ذات وقع مدمر على زوجها وهي لا تدري ، كأن تتهمه بأنه ضعيف الشخصية أو غير ذلك، ومثل هذا الاتهام قد يلحق أذى حقيقيًا بالرجل إذا لم يكن واثقًا بقدرته على مواجهة الحياة، بل قد تؤدي إلى تحطيم شخصيته؛ فالعنف الكلامي ليس بالأمر الهين على بعض الناس ، بل إن هناك أشخاصًا يرون أن العنف الكلامي أقسى من العنف الجسدي .

وإذا كانت الكلمات عندما تخرج من الفم لا يمكن أن تعود ، فإن المسألة تصبح مسألة اختيار الكلمات المناسبة التي ينبغي أن يقولها الإنسان أو يحجم عن قولها في ساعات الغضب.

إن الإنسان قد يتكلم بأعلى صوته وفي أشد حالات الغضب ، ولكنه مع ذلك لا يتفوه

بكلمة واحدة جارحة ، وهذا يعتبر نوعًا فعالًا وإيجابيًا من أنواع التخاطب المقبول والمثمر.

رابعًا : المشاجرات أمام الأبناء :

من الغريب أن كثيرًا من المهتمين بأمور الأسرة يقولون إن المشاجرة أمام الأطفال ليست أمرًا سيئًا ، بشرط أن تكون المشاجرة بنّاءة .

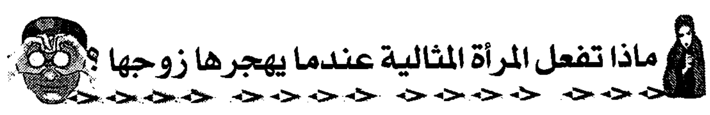
وهذا شرط صعب ، فالطفل الذي يرى والديه يتشاجران بعنف واستمرار يتولد في نفسه الشعور بعدم الطمأنينة حتى لو كانت المشاجرة بناءة ، ولا سيما إذا حاول الوالدان أن يشركا الأطفال في النزاع عن طريق الطلب منهم أن يتحيزوا للأب أو للأم.

وعلى كل حالٍ فإن مراقبة خلافات قليلة عابرة بين الوالدين إذا كانت ضمن حدود معينة لا تحتد فيها العواطف ، قد تكون من التجارب المفيدة للأطفال ؛ إذ أن من الممكن أن يستفيدوا من الإدراك بأن الخلافات تحدث وتنتهي إذا أُحسن التعامل معها، فهذه المعرفة تدربهم على فهم طبيعة الحياة وعلى كيفية التحكم في العواصف المستقبلية.

وأخيـرًا :

ففي أي علاقة قوية ومتينة لا يمكن تجنب الخلاف أو النزاع ، ولكن في مقدور المرأة بمشاعرها الطيبة التي جعلتها تدخل في علاقة حميمة – بل أسمى العلاقات الإنسانية – أن تتغلب على مواطن الخلاف هذه؛ إذا كانت تملك « العنصر الفعّال » الذي بإمكانه أن يعيد إلى حياتها الزوجية توازنها وانسجامها وبهجتها، ألا وهو « الحب » .

إن المرأة التي تهاب الخصومة تعاني مشكلة من مشاكل نقص وسائل التخاطب. ووسيلة التخاطب البناءة تستطيع أن تنقذ الزواج من التدهور عن طريق إطلاق شرارة تُجدد روح الزوج المتعب ، بشرط أن يكون زواجًا مستقرًا .



لا أقصد بهذا الفصل بيان الأسلوب الأمثل الذي تتبعه المرأة لحل الخلافات الزوجية ، بل أقصد به إلقاء الضوء على فترة جد غريبة في الحياة الزوجية ، تلك الفترة التي لا يحدث فيها تشاجر أو نزاع ، ولكن رغم ذلك تفتقر إلى حرارة الحب والعواطف ، وتصير فارغة من كل محتوى ؛ حتى تغدو علاقة الرجل بالمرأة مجرد علاقة رفيقين مقيمين في غرفة واحدة ، يسيطر عليها « البرود » و« الرتابة ». أما الحب وازدهار العواطف فلم يعد أي منهما يرفرف على علاقتهما . فالرجل الذي كان يهيم حبًا حتى بعيوب المرأة ، وربما بما فيها من عدم

كمال نفسي أو منطقي، صار اليوم ينتقد بيضة غير ناضجة أو خبزًا غير طازج، والعاشق المتيم الذي كان يغمر المرأة بآيات حبه ، لمناسبة ولغير مناسبة ، صار يغادر البيت في الصباح دون أن يفكر بطبع القُبلة التقليدية . والمرأة الذكية تعلم أن مثل هذه الأشياء طبيعية ؛ فالحياة الزوجية ليست لحظات متلاحقة من بث الشوق والهيام ومن « فناء الجسدين الواحد في الآخر ..» ، إنها أيضًا « ثلاث وجبات كل يوم » ! و« هل فكرت في إخراج وعاء القمامة؟ » !!!.

فالحب ليس كل شيء في الحياة ، وليس لنا أن نلوم الزوج السعيد إذا ما رأيناه يكرس وقتًا كثيرًا لعمله ، فهو يلتمس مسؤولياته الجديدة ويريد أن ينجح. وخير للمرأة أن تقول لنفسها إن تصرّفه حيالها، على ما فيه من عدم اكتراث ظاهر، دليل على أنها أصبحت ، في نظ ه ، رفيقًا مألوفًا ومريحًا ، وأنه بات واثقًا من أن علاقته بها غدت من الرسوخ بحيث لم تعد بحاجة إلى تدليل مستمر وإبداء دائم لتعلقه بشخصها .

ولكن .. لنفرض أن هذا الإهمال من الرجل حيال المرأة لا ينطوي على مثل هذه المعاني، كأن يمضي الرجل أوقاتًا طويلة خارج المنزل ، أو تدل تصرفاته على أنه يتلاشى شريكته، فيملأ ساعات فراغه باهتمامات غريبة عنها ..

فما الذي تفعله المرأة المثالية في مثل هذه الأحوال ، وكيف تحسن التصرف؟.

تطرح على نفسها - بادئ ذي بدء - هذا السؤال :

ترى أليس مردّ هذا التبدل لديه إلى متاعب خاصة يجتازها ؟.

فالواقع أن كل إنسان ، رجلًا كان أم امرأة ، يمر خلال حياته بفترات من القلق والتوتر وفقدان التوازن ، يرى أنها لا تعني أحدًا سواه، وأن من الحكمة كتمانها في أعماقه، لئلا يضايق رفيقه بها، اعتقادًا منه أن هذا الرفيق لن يستطيع أن يمد إليه يد المساعدة فيكون قد أزعجه بغير طائل . من هذا القبيل متاعب العمل اليومية ، كالمعاكسات التي تواجه الرجل أثناء أداء عمله. وهناك من الرجال مَنْ يميلون إلى عدم إشغال رفيقات حياتهم بمثل هذه المنغصات، حرصًا منهم على عدم تحميلهن فوق ما يحملنه من متاعب البيت والأطفال .

أما الأزمة الكبرى ، فتنفجر عندما يبلغ الرجل سن النضج، فيتوقف ليتأمل منجزات الفترة التي انقضت من حياته. فإذا كان قد لاقى النجاح أثر النجاح في حياته العملية، أو إذا كان قد اصطدم بالفشل، فإنه خليق بأن يقلق ويتوتر؛ ففي الحالة الأولى يخشى ألا يستمر النجاح في الفترة المقبلة على النمط الذي عرفه حتى الآن ، وفي الحالة الثانية يضيق ذرعًا بمعاكسة الظروف له ، وقد يخالطه اليأس المرير؛ لأنه لم يوفق في تحقيق أهداف كان رسمها وخطط لها في مطلع حياته .

وإذا كان معظم الأزواج لا ينجون من التعرض لمثل هذه التجربة ، فإن المرأة العاقلة هي التي تحمل مثل هذا الوضع على محمله الواقعي ؛ فلا تحاول أن تتحرش به أو تثير بعض المتاعب ظنًا منها أن هذا كفيل بردع الزوج وإكراهه على تحسين مسلكه؛ والمرأة الحصيفة هي التي لا تثور ولا تزأر كالعاصفة؛ فهي تعلم أن هذا لن يؤدي إلى تحسين الموقف، ولذا فإنها تدرك أن رد الفعل المناسب هو إعطاء الرجل مزيدًا من جرعات الحب ؛ ففي هذا أكبر معين له على تجاوز أزمته أيًا كان نوعها .

وتؤكد الإحصاءات والدراسات الاجتماعية أن حوالي ٢٥ بالمائة من الزوجات يسلكن مسلك العنف والثورة ، عندما يشعرن بإعراض الزوج عنهن أو عدم اكتراثه بهن ؛ فيطالبن بالطلاق . وهذه نسبة قليلة وكبيرة في آن واحد .. قليلة لأن ثلاثة أرباع الزوجات يتحلين فعلًا بالتعقل والحكمة ، ويتمتعن بالثقة الراسخة التي تجعلهن متأكدات من أن مثل هذه الحالة التي يمر بها الزوج « سحابة صيف » بشرط أن تحسن التعامل معه وتستوعبه نفسيًا .. وهي في نفس الوقت نسبة كبيرة إذا ما أخذنا باعتبارنا عدد المآسي العائلية التي تنجم عن مثل هذا التصرف الأرعن : طلب الطلاق .

سمات المرأة التي يريدها الرجال الناجحون

إن الرجل الناجح يساوي استراتيجية بيت ناجح تتربع على عرشه امرأة مثالية ، تستطيع أن تستخرج بأنوثتها ومثاليتها كل ما في الرجولة من عبقرية وإبداع وخير ونماء، وتملك يدًا ساحرة وأنامل خلاّقة تمس أوتار الرجولة فإذا هي شهامة ومروءة وكرم وفداء، وتتمتع بروح عالية.. توقظ روح البطل، فتستعيد الحياة على يديه عمقها وأصالتها.. همةً وتوثبًا وفيضًا بالمعاني والمبتكرات ، لحظة بعد لحظة ، وجيلًا بعد جيل، إلى ما لا نهاية .

وإذا كان وراء كل عظيم امرأة - كما يقولون - فإن وراء كل رجل متعثر أو منهار أو وضيع امرأة أيضًا !.. وشتان بين الأولى .. والثانية ..

أما الثانية .. فسحقًا لها وبُعدًا !! وهي لا تعنينا .. فما يهمنا ونتطلع إليه هو المرأة الأولى ، تلك التي تدفع الرجل إلى آفاق النجاح والإبداع والعبقرية .

وسنركز فيما يلي على إبراز أخص خصائصها التي تجعلها تتمتع بما وصفناها به أعلاه..

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن ذكرنا لهذه الخصائص لا يعني أنها منعزلة عن سائر السمات التي تتسم بها المرأة المثالية كما وردت في فصول الكتاب الأخرى ، بل هي متحدة

بها وتكملها ولا غنى لبعضها عن بعض . وعلى كلٍّ فهذه الخصائص تتمثل فيما يأتي :

- تلد زوجها مرة ثانية !! :

نعم .. المرأة المثالية امرأة مبدعة ومبتكرة ، ومجددة !! تعرف دائمًا كيف تجعل زوجها يولد من جديد ، فالإنسان الناجح لا يولد مرة واحدة ، وإنما يُولد باستمرار وبشكل متواصل، وكل مرة يُولد فيها يمكنه أن يحقق نجاحًا من نوع جديد يتناسب مع الولادة الجديدة. أما الإنسان الفاشل فهو الذي وُلد مرة واحدة ، فأصبح جامدًا ساكنًا لا يستطيع مواكبة تطور الحياة وتجددها ، ويغدو « تيمة مكررة » ولحنًا معادًا ..

والمرأة التي تستطيع أن تلد زوجها مرة ثانية ، وثالثة ورابعة .. هي المرأة الأم ، فالأمومة بمعناها الواسع الذي يعني الإبداع والعطاء والحنان والحب، هي خاصة الخصائص في المرأة السوية ؛ فإلى الأم – في نهاية المطاف – إنما تعود دائمًا بوصفها تأليفًا أساسيًا لكل امرأة ، شعبية أم أرستقراطية ، فتية أم مُسنّة ، لها أطفال أم لا .

وليس ثمة امرأة متوازنة ، من أدنى الأرض إلى أقصاها ، لا تعتبر أن رفيقها هو « طفلها » قبل كل شيء ، سواء كان هذا الرفيق ابنها الصغير أو زوجها القوي؛ لأن المرأة – وكم هي على صواب!– تفكر برأسها أقل مما تفكّر بواسطة الدائرة الوجدانية التي تمثلها بطنها . وسيظل حتى رفيقها القوي القادر طفلها على الدوام إذا استطاعت أن تحتويه بكل وسائل الاحتواء العاطفية والروحية والجسدية .

ولكن ليس معنى هذا أن تحاصره وتكبل حركته وتفكيره ، فارضة عليه كل قيود الأسر والتحكم، فتتدخل في كل صغيرة وكبيرة. وإنما تعدّه وتهيئه حتى ينطلق انطلاقة القوي القادر في شتى ضروب الحياة .

يمكن فهم هذه النقطة أكثر عندما نعلم أن كل طفل معدّ لكي يخرج من أمه، ثم ينطلق انطلاقة تؤمّنها له. ولكن بوسع المرأة الأم أيضًا أن ترتبط بهذا الطفل إلى الأبد ارتباط التكبيل والسيطرة فيفقد شخصيته وتميزه وقدرته على مواجهة الحياة .

وما تفعله الأم بولدها ، يمكن أن تكرره مع رفيقها . بل ويمكن أن يفعله كل مبدع مع إبداعه؛ فعندما ينهي الرسام لوحة يحبها، هل ينفصل عنها فيتركها لجمهور المتذوقين، أم يحتفظ بها لنفسه؟ أيمكنه أن يعطي أثره الفني للآخرين، أم يحتفظ به كيما يتأمله بصورة غير محدودة ، بوصفه نرجسيًا مقنعًا ؟ .

تلك هي قضية كل امرأة ، وكل مبدع !. « أن يعطي أو أن يحتفظ » .

ويقودنا كل هذا ، بعيدًا وعميقًا ، إلى مناطق متغيرة كالبحر ، ولكنها جميعًا ذات جِبِلَّةٍ واحدة . ذلك أن البحر هو أيضًا : « يحمل السفن أو يبتلعها! » .

وها هي ذي مقتبسات من جمل قرأناها ، من هنا وهناك ، في روايات تتكلم عن هذه العملية الدقيقة : « .. إنها تضعه تحت رحمتها إذ تضطجع بقربه.. وتلاشي في هذه المرأة خلال اللقاء .. وأصيب بالدوار، وغرق فيها .. ثم ارتقى الهاوية التي كان قد وقع فيها .. إنه - واثقًا وخائفًا - كان قد عاد إلى الطفولة .. وبعد هذا الإلغاء - إلغاء الزمن - استأنف انطلاقته ..» .

فالرجل يتلاشى ويفنى في المرأة ؛ ذلك أنه في الحقيقة يغرق فيها ! أما وقد استولى عليه الهوى والدوار، فإن أقْنِعَتَه تسقط، ولم يعد سوى موجود أعزل، فتحسه المرأة مباشرة و كأنه طفل « يستمتع » بالدفء والأمن الأمويين، وكأنه كان يحتمي فيها من الحياة التي تدمره ..

نعود فنؤكد على أن المرأة كالبحر الذي يحمل السفن أو يبتلعها، وكالفنان الذي تحدثنا عنه منذ قليل : هل تبدع الرجل حبًا وحنانًا وعبقرية ونجاحًا ، فتلده ثانية كطفل نهل من أمه قوى نفسية جديدة؟ أم أنها تحول بينه وبين أن ينطلق ثانية قويًا قادرًا نحو عمله وأفكاره؟.

فالمرأة ، في نهاية التحليل السيكولوجي ، بطن مغلق واسع الأرجاء . وهكذا فالرجل يصبح لها ابنًا هائلاً يطلب يقظتها وحنوها. ولكنها إن لم تحرسه ، فإن بطنها يستحيل إلى مخنق ضخم ، يبحث عن الاحتفاظ بمن ولد . ولهذا السبب فإن الرجل - أي رجل - يمكن بواسطة المرأة أن يولد مجددًا ، يومًا بعد يوم، أو أن يموت ! .

- تشاركه في صنع الهدف :

كثير من الرجال لا يعرفون ماذا يريدون ، ومن ثمَّ فإن أول ما تصنعه المرأة مع الرجل أن تعاونه على إيضاح آماله ومطامحه في ذهنه ، أي أن تعاونه على أن يدرك ما الذي يبتغيه من الحياة ، ثم تعمد بعد ذلك إلى تقديم مشاركتها الحكيمة لتحقيق أهدافه أو أهدافهما - ولا فرق ؛ حيث إن أهداف الرجل ينبغي أن تتوحد مع أهداف شريكة حياته، والعكس. لأن وجود الهدف المشترك هو أساس الزواج السعيد .

وليس الذي يهم هو ما هو الهدف ؟. فقد يكون هدفًا علميًا أو أدبيًا ، وقد يكون هدفًا ماليًا ماديًا ، أو سياسيًا ، وقد يكون الهدف تكوين أسرة كبيرة.. ليس يهم ما الهدف، بقدر ما يهم اشتراك الزوجين في التطلع إليه والسعي لتحقيقه. فليس الحب أن ينظر المحبان أحدهما في عيني حبيبه، وإنما الحب أن يتطلع الحبيبان كلاهما في اتجاه واحد!.

- كلما حقق هدفًا تساعده في صنع هدف جديد :

عندما يستطيع البعض تحقيق ما كان يصبو إليه من هدف ، فإنه يكف عندئذ عن عمل أي شيء هام ولا يحاول أن يصنع هدفًا جديدًا ، شأن كثير من أساتذة الجامعات - مثلًا - الذين يطلّقون البحث العلمي طلاقًا بائنًا بمجرد حصولهم على درجة الدكتوراه!.

ومن هنا يجدر بالمرأة أن تحث زوجها كلما حقق هدفًا على أن يصنع له هدفًا جديدًا؛ لأن وجود الهدف من أكبر العوامل الدافعة للعمل وبالتالي المحققة للتقدم والتطور .. يقول برنارد شو : « إنني أهاب النجاح وأخشاه! فالنجاح معناه أن مهمة المرء في هذه الدنيا قد انتهت ، حتى ليمكن تشبيهه بالعنكبوت الذكر الذي تقتله أنثاه متى حقق مهمته التناسلية! وإنما أحب أن أكون ماضيًا على الدوام في الطريق إلى النجاح ، مستهدفًا هدفًا ماثلًا أمام عيني لا وراء ظهري » .

- تقف بجوار زوجها حتى يحقق أهدافه :

عمل منطقي تقوم به كل امرأة حصيفة ، عندما تقف بجوار زوجها ، معاونة إياه بالكلمة الطيبة ، والابتسامة المشجعة ، وتدفعه دفعًا متواصلًا نحو أهدافه المنشودة؛ فأي نجاح يحققه ليس له وحده، وإنما هي شريك معه فيه ..

ولا أدل على ذلك من الواقع الحي الذي يروي لنا قصة ميكانيكي شاب، استخدمته « شركة الإضاءة الكهربائية » في « ديترويت » ، وكانت تنقده أحد عشر دولارًا في الأسبوع لقاء عشر ساعات من العمل المتواصل كل يوم .

وكان هذا الشاب إذ يعود إلى بيته مساء ، يقضي نصف الليل في حظيرة خلف منزله عاكفًا على محاولة صنع نوع جديد من المحركات .

ولكن كان والده ، الفلاح الكهل ، يرى أن هذا الذي يفعله ابنه مستغرقًا فيه شطرًا كبيرًا من الليل ، إنما هو ضرب من العبث !. بل لقد كان هذا هو رأي الجيران وأهل الحي أيضًا ، فكانوا يسخرون منه ، ويهزءون به، ولم يتصور أحد منهم أن ما يفعله الشاب قد يسفر عن شيء ذي بال . سخر الجميع منه ، وضحكوا عليه كلهم ، إلا زوجته ؛ فقد كانت تقضي معه طيلة الوقت في الحظيرة ، تشد أزره، وتلهب من حماسه . وعندما يحل فصل الشتاء كانت تحمل له في يدها مصباح الغاز لتضيء له بينما أسنانها تصطك ، ويداها تسري فيهما الزرقة، من شدة البرد. ولكنها كانت عامرة القلب بالإيمان بالنجاح، واثقة بأن ما يفعله زوجها سينتهي إلى شيء رائع فريد ، حتى لقد كان زوجها يطلق عليها لقب « المؤمنة ». واستمرت معه على هذا الحال سنوات ثلاث .

وفي سنة ١٨٩٣ م أشرف العمل على نهايته ، وكان الشاب يومئذ قد قارب الثلاثين من عمره، وفي يوم من أيام تلك السنة تناهى إلى سمع الجيران صوت غريب لم يألفوه من قبل ، فهرعوا على أثره إلى نوافذهم فرأوا عجبًا - رأوا الشاب الذي سخروا منه « هنري فورد » وزوجته يركبان عربة تجري بلا خيول ، وشاهدوا بأعينهم المحملقة المذهولة تلك العربة العجيبة تصل إلى نهاية الشارع ثم تعود .

ويومئذ شهد العالم الحديث مولد اختراع جديد كان له أبلغ الأثر في تطور المدنية. وإذا كان « هنري فورد » هو أبو هذا الاختراع ، فقد استحقت زوجته المثالية المؤمنة عن جدارة أن تكون « أم » هذا الاختراع .

وقد سُئل « هنري فورد » بعد أكثر من أربعين عامًا من تاريخ اختراعه : ماذا ينشد أن يكون لو عاش على الأرض مرة أخرى ؟

أتدري أيها القارئ بماذا أجاب ؟ . أجاب بقوله : « لا يهمني ماذا أكون بقدر ما يهمني أن تكون زوجتي بجانبي في هذه الحياة الثانية » .

- تبث في الرجل روح الحماسة والأمل :

من أخص خصائص المرأة المثالية أن تعمل على بث روح الحماسة والأمل في نفس الرجل، سواء كان هذا الرجل زوجها أو ابنها أو أخاها أو أباها .. تقول مارجريت كولكن في مقال لها في صحيفة « كوزموبوليتان » : « لا ينبغي للزوجة أبدًا أن تقول لزوجها : إنه إنسان فاشل.. وفي رأيي أن من أهم واجبات الزوجة أن تستغل فترة الإفطار لتتحدث إلى زوجها حديث الأمل والتفاؤل والنجاح ؛ ذلك أن الزوجة التي تقول لزوجها : إنه لم ينجح في شيء، إنما تهيئ هذا القول لأن يصبح حقيقة واقعة ».

ولا شك أن وجهة نظر المرأة في الحياة ، ومدى مقدرتها على رفع روح الرجل المعنوية ، ومقدار استعدادها لبث روح التفاؤل في نفسه - هي أحد أهم العوامل الكامنة وراء نجاح معظم الرجال .

ولذلك يقول إيمرسون : « إنني أنشد شخصًا يحفزني على أن أصنع ما أستطيع أن أصنعه » . أي أن إيمرسون كان يتطلع إلى من يلهمه ويحمسه . وفي نظري أن أكثر شخص يمكنه أن يجعل الرجل يشع بالحماسة ، هو الزوجة .

ومن أفضل الوسائل التي تلجأ إليها المرأة لكي تبث روح الحماسة في زوجها ، هو أن تساعده على التظاهر بالحماسة إن لم يكن يحسها، فلن يلبث حتى يستشعرها .

يقول وليم جيمس الفيلسوف الأمريكي الشهير : « إذا أردتم أن تستشعروا عاطفة،

صفحة واحدة إلا ويعهد بها إليها لتراجعها ، وتنقحها ، وتبث فيها روح الحياة .

- تجيد « سياسة عدم التدخل » :

وإذا كان كثير من الرجال يتطلعون إلى مشاركة زوجاتهم لهم ، إلا أن هناك بعض الرجال يفضلون أن يقوموا بأعمالهم بشكل مستقل. وفي مثل هذه الحالات يجب على المرأة أن تجيد « سياسة عدم التدخل » إذا شعرت أن الرجل يريد ذلك.

يقول زوج من هذا النوع الأخير : أعتقد أن أهم شيئين تعاون بهما الزوجات أزواجهن على بلوغ النجاح هما : **أولاً** : أن يبذلن لهم الحب . **ثانيًا** : أن يدعنهم وشأنهم .

فالمرأة الذكية توفر للرجل أسباب الراحة والسعادة في بيته . ثم تتركه ينهض بأعباء عمله بغير تدخل من جانبها إذا أراد ذلك .

- تعطي زوجها فرصة الانغماس في العمل :

تبدي بعض النساء تذمرهن إذا رأين الرجل ينغمس في عمله باذلًا فيه كل جهده، ولا شك أن على الرجل أن يوازن بين الحقوق والواجبات حتى لا يضيّع أحدها فيفقد كل شيء .

ولكن في بعض الأحيان تقتضي ظروف الحياة ، وطبيعة المرحلة التي يمر بها الرجل ، أن يكثف كل جهوده من أجل تحقيق هدف محوري قد ينقله هو وأسرته من طور إلى طور أرقى.. هنا تُدرك المرأة المتبصرة طبيعة الأمر ، فتعد نفسها للاستغناء عن زوجها بعض الوقت، وتوازن بين رغباتها وبين ما يتركه غياب الزوج في نفسها من إحساس بالوحدة والوحشة ؛ فتملأ وقتها بنشاط تبتكره هي ابتكارًا تعوّض به غياب الزوج .

وإذا أخفقت المرأة في الوصول إلى تحقيق ذلك التوازن ، فإن جانبًا من طاقة النشاط التي يركزها زوجها في دراسته أو عمله سيتبدد ، نتيجة لقلقه وانشغاله بتعاسة زوجته. وقد ينتهي به الأمر إلى التخلي عن جهوده إرضاء لها، ومنعًا لشكواها من الوحدة . وبالتالي تكون مثل تلك الزوجة مسئولة مسئولية مباشرة عن قصور زوجها عن بلوغ ما يصبو إليه من نجاح ،وتكون هي السبب في فقدانه لروح الطموح والترقي .

فالمرأة المثالية بما تتميز به من سعة إدراك ودقة فهم لا تعمد على الإطلاق إلى شغل بال زوجها بهموم البيت ومضايقات الحياة العائلية ، بل توفر له أسباب العمل في هدوء واستقرار ، وتعطي له الفرصة كاملة لكي يستغرق في عمله ، فلا تعكر صفو تركيزه، ولا تشتت انتباهه، ولا تؤول انعزاله عنها بأنه دليل على عدم حبه لها؛ فالإنسان كثيرًا ما يشعر – كما أشرنا من قبل – بالحاجة إلى الوحدة ، لا سيما إذا كان يؤدي عملًا فكريا . ولذا فإنه يكون من العبث أن تفرض الزوجة نفسها على زوجها عندما يكون بأشد الاحتياج إلى العُزلة

منه إلى شيء آخر . والمرأة الذكية تعلم علم اليقين أن نزوع الرجل نحو الانغماس في العمل بمفرده - طبعًا دون إفراط - يجعله يشتاق إلى العودة إليها ، ولن يلبث أن يرجع إلى كنفها باهتمام أكبر وشغف أعظم !.

- لا تجعل عيوبه تقف حجر عثرة أمامه :

لكل رجل مهما كان عظيمًا عيوبه ونقائصه، وبعض الرجال يضخمون شعوريًا من أهمية ذلك، مما يؤدي إلى شعورهم المستمر بالنقص ، فتكون النتيجة بالغة السوء .

ومن هنا فإن المرأة المثالية من شأنها أن تعين الرجل على أن ينظر إلى عيوبه بمنظار طبيعي سويّ؛ حتى لا تقف حجر عثرة في طريقه .

وعلى سبيل المثال .. فإن الرجل الذي يستغرق في عمله ، لا سيما إذا كان عملًا فكريًا ، خليق بأن يعجز عن تذكر الأسماء والوجوه وكثير من مستلزمات الحياة اليومية.. والتصرف المثالي من الزوجة ليس هو أن تعتذر عن عجز زوجها، بل تحاول تذكر الأسماء وما إليها ، وتمد زوجها بالعون كلما احتاجه .

وفي بعض الحالات هناك رجال مصابون بفقدان الثقة في أنفسهم .. فمثل هؤلاء يقع على عاتق زوجاتهم الدور الأكبر في القضاء على هذا الشعور .

فالناس جميعًا ميالون إلى أن ينهضوا بالثقة التي نضعها فيهم ، وأن يتصفوا بالصفات التي لا نفتأ نذكرها مقرونة بهم . فعندما نقول لطفل إنه خجول متعثر.. فإذا هو أكثر خجلًا وتعثرًا مما يظن!! وعندما نقول لآخر إنه مؤدب ونمتدح خلقه.. فإذا هو مؤدب دمث الأخلاق!!.

وقياسًا على هذا ، فعندما تعامل المرأة الرجل بوصفه رجلًا ناجحًا .. فإذا هو ينفث مواهبه كلها في عمله ليكون عند حسن ظنها به .

فالمرأة مسئولة ، إلى حد أكبر مما نتصور ، عن تهيئة الجو الذهني الذي يعيش فيه الرجل.

والمرأة المثالية ديدنها الذي لا يختلف عليه اثنان ، أنها تحيط الرجل بالجو الذي يشعره بالثقة والزهو ، دون مبالغة تؤدي إلى إصابته بالنقيض الآخر « الغرور » ، ومن وسائلها التي تلجأ إليها لتحقيق هذا الأمر : أنها تذكره بأعماله الناجحة، وبقدراته التي يتميز بها عن الآخرين، وتحفزه على مصادقة الموهوبين الأسوياء، ومخالطة الذين يعرفون قيمته ويقدرونه .

- خير سند له وقت الأزمات :

الرجال الناجحون هم أكثر الناس الذين تقابلهم أزمات متعددة أثناء سعيهم المتواصل نحو القمة، ولكن ما يميزهم عن غيرهم هو قدرتهم على تجاوز الأزمة بالصبر وروح الأمل وحُسن التفكير ؛ لأنهم يدركون أن الأزمات التي لا تقضي عليهم فإنها تقوّيهم .

ولا شك أن المرأة المثالية من أقوى العوامل التي تساعد الرجل على استعادة توازنه، ثم الشروع السليم في الخطوات التي تمكنه من تجاوز الأزمة والخروج منها منتصرًا قويًا .

ولعل أقرب حادثة تتبادر إلى ذهننا كنموذج للموقف الإيجابي الذي تتخذه المرأة المثالية عندما ينزل بزوجها أزمة أو تقف أمامه مشكلة ، هي حادثة صلح الحديبية التي كانت تمثل أزمة حقيقية ليس أمام الرسول ﷺ فقط وإنما في وجه الدعوة الإسلامية عمومًا ؛ فبعد أن فرغ الرسول ﷺ من كتابة المعاهدة - حاك في صدور البعض ما حاك من الوساوس والتوجسات - لدرجة أن الرسول ﷺ لما فرغ من قضية الكتاب ، وقال لأصحابه : « **قوموا فانحروا ثم احلقوا** ». قال (أي الراوي) : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات .

فلما لم يقم منهم أحد ، دخل على « أم سلمة » فذكر لها ما لقي من الناس .

فقالت : يا نبي الله ، أتحب ذلك ؟ اخرج ولا تكلم منهم أحدًا حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالقك فيحلقك .

فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنَهُ ودعا حالقه فحلقه .

فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضًا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا . [أخرجه البخاري وأبو داود في جزء من رواية مطولة ، حسبما ورد في تيسير الوصول ٣ : ٢٤٩ - ٢٥٥] .

فانظر معي أيها القارئ - أو أيتها القارئة - كيف أبدت أم سلمة رأيها في موقف صعب وحرج، وكيف أحسنت الوقوف بجوار زوجها ، واستطاعت أن تكون بذلك خير سند له في أزمته.. ثم كيف استجاب الرسول ﷺ لرأيها لأنه أدرك حكمته ووجاهته .. وبالفعل ما إن نفذ الرسول ﷺ ما قالت ، حتى استجاب الجمع ، وأبدوا فروض الطاعة والالتزام .

- تشجعه ولا تتخلى عنه عند الهزيمة :

إن التشجيع لازم للمرء لزوم الوقود للمحرك ، إنه هو الذي يسيّره، ويشحذ ذهنه، ويمد روحه بالطاقة . بل إنه هو الذي يحيل الفشل نجاحًا ، والهزيمة نصرًا في كثير من الأحيان.

والدهر ينزل ضرباته بالرجال جميعًا مرة على الأقل في خلال الحياة ، وتوشك الضربات القوية أن تبدد عزائمهم وتسلمهم إلى قرار اليأس .. وهنا تكمن « النجاة » في زوجة مثالية تُحسن الوقوف بجوار زوجها في مثل تلك اللحظة ، وتكون قادرة على إعادة الرجل إلى توازنه الأول ، وتحميه من الوقوع في هاوية اليأس ؛ فليس أفعل من تأثير المرأة على الرجل ، وليس أضمن لنجاحه وتفوقه من شعوره بأن زوجه تسانده وتؤيده ، وأنها على استعداد دائم لأن تؤازره وتبث الثقة في نفسه .

* * *

الفهرس